العِظات البالغات من سُورَة الصَّافَّات

الأستاذ الدكتور
السيد عبدالحليم محمد حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

شبكة الألوكة

العظات البالغات من سورة الصافات

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

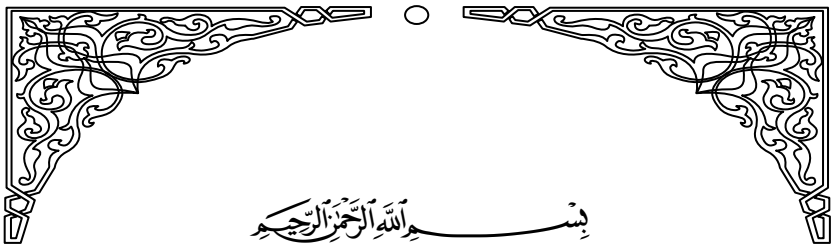

المعاني: سورة الصافات

الكلمة	معناها
﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾	قسم من الله بالملائكة تصطف حتى يأمرها الله بما يريد.
﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾	الملائكة تزجر عن ارتكاب المعاصي والآثام بالأقوال والأفعال.
﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾	الملائكة تتلو آيات القرآن.
﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾	جواب القسم بالملائكة.
﴿شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾	متجرد عن الخير خارج عن طاعة الله.
﴿لَا يَسَّمَّعُونَ﴾	لا يقدرون أن يسمعوا.
﴿الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾	الملائكة في السماء.
﴿وَيُقْذَفُونَ﴾	يرجمون بالشهب.
﴿دُحُورًا﴾	طردًا وإبعادًا.
﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾	دائم لا ينقطع في الآخرة.
﴿مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾	الشيطان يختلس الكلمة مسارقة.
﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾	لحق وأدركه شهاب يحول بينه وبين الاسترق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿ثَاقِبٌ﴾	مضيء محرق كأنه يثقب الجو المظلم بضوئه.
﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾	اسأل الكفار المنكرين للبعث.
﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾	أهم أعظم قوة وأشد أجسامًا أم ما خلقنا من السموات والأرض وما بينهما.
﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾	متماسك لاصق بعضه ببعض.
﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾	من قدرته تعالى على هذه الخلائق العظيمة وإنكارهم البعث.
﴿وَيَسْخَرُونَ﴾	وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث.
﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾	يبالغون في السخرية والاستهزاء.
﴿إِنْ هَٰذَآ﴾	ما هذا.
﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾	وأنتم صاغرون أذلاء.
﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾	صيحة واحدة (وهي نفخة إسرافيل للبعث).
﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾	فإذا هم أحياء يبصرون كما كانوا في الدنيا.
﴿يَٰوَيْلَنَا﴾	يا هلاكنا ويا حسرتنا.
﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾	يوم الجزاء على الأعمال.
﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾	أمثالهم من العصاة المشايعون لهم في الكفر.
﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾	دُلُّوهم على طريق النار وسوقوهم إليها.
﴿وَقِفُوهُمْ﴾	احبسوهم في الموقف للحساب.
﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾	لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾	عاجزون لا حيلة لهم.
﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾	يتخاصمون. أي: الأتباع والرؤساء.
﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾	تأتونا من الناحية التي منها الخير وهو الدين لتصرفونا عنه.
﴿طَٰغِينَ﴾	متجاوزين الحد في العصيان باختياركم.
﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾	ثبت ووجب علينا.
﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾	عذاب ربنا.
﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾	معذبون.
﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾	دعوناكم إلى الغي والضلال دعوة غير ملزمة فاستجبتم.
﴿لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾	لمنصرفون عنها.
﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾	الذين أخلصهم الله واصطفاهم لطاعته.
﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾	في حُسنه وطيبه وعدم انقطاعه.
﴿بِكَأْسٍ﴾	إناء فيه شراب.
﴿مِّن مَّعِينٍ﴾	خارج من العيون والمنابع يجري على وجه الأرض كالأنهار.
﴿بَيْضَآءَ﴾	صافية اللون عند مزجها (أي: الخمر).
﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾	لذيذة الطعم والرائحة عند الشاربين.
﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾	لا تغتال عقولهم فتذهب مسببة الأذى والمضرة لشاربها.
﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾	ولا تذهب عقولهم بشربهم فيكون كما هو في خمر الدنيا.
﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾	حُورٌ قصرن أنظارهن على أزواجهن فلا ينظرن لغيرهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿عِينٌ﴾	واسعات العيون حسانها.
﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾	أنهن كبيض النعام الذي غطاه الريش في العش فلم تمسه الأيدي ولم يصبه الغبار.
﴿قَرِينٌ﴾	صاحب وخليل في الدنيا.
﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾	لمحاسبون على أعمالنا ومجزيون عليها.
﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾	وسطها.
﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾	إنك قاربت أن تهلكني بالإغواء.
﴿ٱلْمُحْضَرِينَ﴾	الذين تحضرهم الملائكة للعذاب مثلك.
﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾	أحسن ضيافة وتكرمة.
﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾	شجرة صغيرة من أخبث الشجر منتنة الرائحة مُرة الطعم تنبت بأرض تهامة في الجزيرة العربية.
﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾	محنة وعذابًا لهم في الآخرة.
﴿أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾	قعر جهنم وأسفلها.
﴿طَلْعُهَا﴾	ثمرها الشبيه بأول ما يظهر من ثمر النخيل.
﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾	تمثيل لتناهيه في البشاعة والقبح.
﴿لَشَوْبًا﴾	لخلطًا ومزاجًا.
﴿حَمِيمٍ﴾	ماء بالغ غاية الحرارة.
﴿أَلْفَوْا﴾	وجدوا.
﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾	في طريقهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿يُهۡرَعُونَ﴾	يزعجون ويحثُّون على الإسراع الشديد.
﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾	المصطفين الذين اصطفاهم ربهم وخلصهم من النقائص.
﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾	أبقينا عليه ذكرًا جميلاً وثناء حسنًا يجري على لسان من يأت بعده إلى آخر الدهر.
﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾	ممن شايعه وتابعه على منهاجه وملته في الدعوة إلى التوحيد.
﴿أَئِفۡكًا﴾	أكذبًا وباطلاً؟ أتريدون آلهة باطلة من دون الله.
﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	أي سبب حملكم على ظنكم أن الله تعالى يترككم بلا عقاب حين عبدتم غيره؟!
﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾	تفكر وتأمَّل تأمُّل الغافلين في النجوم وأحوالها.
﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾	أراد في نفسه أنه سقيم القلب لكفرهم وقد أوهمهم بأنه مريض فلا يستطيع الخروج معهم.
﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ﴾	انصرفوا معرضين
﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ﴾	مال إليها خفية ليحطمها.
﴿فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا﴾	مال مستعليًا عليهم يضربهم ضربًا بقوة.
﴿يَزِفُّونَ﴾	يسرعون في مشيهم.
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾	أي وخلق عملكم، أو الذي تعملون من الأصنام وغيرها.
﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾	إلى مكان يمكن فيه إرضاء ربي بطاعة أمره، وهي بلاد الشام.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	هب لي ولداً يكون من الصالحين.
﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾	هو إسماعيل الذي اتصف بالحلم والرَّوِيّة.
﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾	بلغ السن التي تؤهله لأن يعمل مع أبيه ويسعى له في حاجاته.
﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾	استسلما وانقادا لأمره تعالى.
﴿وَتَلَّهُ﴾	صرعه وأسقطه على الأرض.
﴿لِلْجَبِينِ﴾	على الجبين الذي هو على طرف الجهة، والمراد أنه طرحه على جنبيه الأيمن أو الأيسر.
﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾	عزمت عزمًا صادقًا على تنفيذ ما أمرناك به في المنام.
﴿الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾	الامتحان الواضحُ الذي يتميز به المخلص من غيره.
﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾	بكبش عظيم القدر كونه من الله ليذبح.
﴿الْكِتَابَ﴾	التوراة.
﴿الْمُسْتَبِينَ﴾	البالغ النهاية في البيان والتفصيل.
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾	أبقينا عليهم ثناء حسناً يجري على لسان من يأت بعدهما.
﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾	أتعبدون الصنم المسمى بعلاً.
﴿وَتَذَرُونَ﴾	تتركون.
﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾	تحضر الملائكة في العذاب.
﴿الْمُخْلَصِينَ﴾	المؤمنين الذين اصطفاهم لدينه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾	أبقينا عليه ذكرًا جميلاً وثناء حسنًا على لسان من يأت بعده.
﴿إِلْ يَاسِينَ﴾	المراد: إلياس، وأضيفت الياء والنون لأنه اسم أعجمي ونظيره سيناء، وسينين.
﴿الْغَابِرِينَ﴾	الباقين في العذاب، أو الهالكين.
﴿مُّصْبِحِينَ﴾	أي: في وقت الصبح.
﴿أَبَقَ﴾	هرب من قومه بغير إذن ربه.
﴿الْمَشْحُونِ﴾	المملوء.
﴿فَسَاهَمَ﴾	فقارع من في السفينة قرعة بالسهام.
﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾	من المغلوبين بالقرعة فألقي في البحر.
﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾	فابتلعه بسرعة.
﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾	أي: مكتسب ما يلام عليه من مفارقة قومه بغير إذن ربه.
﴿الْمُسَبِّحِينَ﴾	الذاكرين الله كثيرًا بالتسبيح.
﴿۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾	أمرنا الحوت بطرحه بالعراء وهو الفضاء الواسع من الأرض على شط النهر قرب نينوى من أرض الموصل حيث لا يواريه شيء من شجر أو غيره، فخرج مريضًا قد تلف جلده.
﴿سَقِيمٌ﴾	مريض وعليل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٍ ﴾	أي: من الشجر الذي لا يقوم على ساق وكانت فوقه تظلله على خلاف العادة.
﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ ﴾	أي: فاستفت كفار مكة يا محمد واطلب منهم أن يخبروك.
﴿إِفۡكِهِمۡ ﴾	كذبهم على الله.
﴿سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ﴾	حجة واضحة ظاهرة على ما تقولون.
﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ ﴾	أي: جعل المشركون بين الله تعالى وبين الملائكة نسباً بقولهم: الملائكة بنات الله، وسميت الملائكة جنة من الاجتنان وهو الاستتار، لأنهم لا يُرون بالأبصار.
﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴾	أي علمت الملائكة أن المشركين القالين بذلك لمحضرون إلى النار للعذاب لكذبهم في ذلك.
﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾	وهو قول الملائكة: أي لكن عباد الله المخلصين الذين نحن منهم براء من أن يصفوه بما لا يليق به.
﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴾	أي: ما أنتم والأصنام التي تعبدونها بمفسدين على الله أحدًا بإغوائكم.
﴿صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾	داخلها.
﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾	أي: وما منا مَلَكٌ إلا له مقام معلوم في المعرفة وعبادة الله.
﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾	أنفسنا في مواقف العبودية والعبادة دائمًا.
﴿ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴾	أي: كفار مكة قبل البعثة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿ذِكۡرًا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾	أي: كتابًا من جنس كتبهم كالتوراة والإنجيل.
﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾	أي: لأخلصنا العبادة له ولكُنَّا أهدى منهم.
﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾	أي: حزبنا وهم الرسل وأتباعهم.
﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ﴾	أي: أعرض عنهم مدة معلومة حتى تؤمر بقتالهم.
﴿وَأَبۡصِرۡهُمۡ﴾	إذا أنزل بهم العذاب.
﴿فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ﴾	عاقبة كفرهم.
﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ﴾	أي: نزل العذاب بهم.
﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾	أي: بئس صباح الذين أنذروا بالعذاب.
﴿رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ﴾	الغلبة والقدرة.
﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	أمن لهم من المكاره.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا:- المعاني العامة:

- تبيين سورة الصافات:

- أصول العقيدة والتوحيد.

الرسالة، والوحي، والبعث، والجزاء.

- عرض السورة:

وحدانية الله تعالى: ١ - ١٠:

أقسم الله بطوائف من مخلوقاته:

منها: الملائكة يصطفون للعبادة، ويصفون أجنحتهم في الهواء انتظارًا لأمر الله تعالى عبادة وطاعة وذكرًا له.

- منها: الملائكة تسوق السحاب وتحركه.

- منها: الملائكة تتلو القرآن.. وهذا مذهب جمهور المفسرين.

وجواب القسم: أن الله سبحانه واحد لا شريك له، وهو المعبود بحق، فيجب إخلاص العبادة إليه.

وإنما أقسم الله جوابًا لكفار مكة الذين قالوا: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ وكيف يسع هذا الخلق؟ فقرر أنه خالق السموات والأرض وما بينهما من مخلوقات ومالك ذلك كله، وهو ربُّ مشارق الشمس ومغاربها، وخص المشارق هنا بالذكر واكتفى بها عن المغارب لدلالتها عليها، وقد صرح بها في مواضع أخرى فقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [المعارج: ٤٠] أي مطالع الشمس ومغاربها، وقال أيضًا: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن: ١٧]. وأما قوله: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [المزمل: ٩]

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالمراد به الجهة، والمشرق جهة، والمغرب جهة، وخص الجمع بهذه السورة لمناسبة جموع أولها.

ومن مظاهر قدرته: أنه جمَّل الدنيا وزينها بالكواكب متلألئة في السماء كالجواهر المنيرة. ويتجلى فيها قوة الحفظ والحرز من الشيطاني العاتي الخارج عن الطاعة المتجرد للشر. وخص السماء الدنيا بالذكر لأنها التي تباشر أبصارنا، والحفظ من الشياطين إنما هو فيها وحدها، فلا يمكنون من التسمع إلى الملائكة في السماء إذا تكلموا بما يوحيه الله من شرعه وقدره. وظاهر الأحاديث أنهم يستمعون إلى الآن، لكنهم لا يسمعون شيئًا منذ بعثة النبي ﷺ لأنهم يرمون بالكواكب، ويرجمون بالشهب من كل جهة يصعدون إلى السماء منها إذا أرادوا الصعود لاستراق السمع، فيمنعون من الوصول إلى ذلك، ولهم في الآخرة عذاب مستعر موجع.

وطرد الشياطين هو الغالب عليهم إلا من شذ فخطف نبأ كما جاء في الصحيح عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ. فَيُقَالُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنْ السَّمَاءِ» صحيح البخاري.

والمهم أن هذه الشياطين التي تمنع من الوصول إلى الملأ الأعلى، ومن التسمع لما يدور فيه، هي التي يدَّعي المدَّعون أن بينها وبين الله نسبًا، ولو كان شيء من هذا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صحيحًا لتغير وجه المعاملة، ولما كان مصير الأنسباء والأصهار -بزعمهم- هو المطاردة والرجم والحرق أبدًا.

يستفاد من الآيات:

- لا يجوز الحلف إلا بالله تعالى أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته لقول النبي ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت» البخاري. ولله أن يقسم بما شاء على ما يشاء.

- فضيلة الصف لله أو في سبيله، وفضيلة الأجر في الله أو في سبيله، وفضيلة تلاوة القرآن والذكر.

- إثبات القسم يحمل معنى توحيد الله تعالى وأنه رب كل شيء يصرف ملكه بإرادته.

- بيان الحكمة الإلهية من خلق الكواكب في السماء الدنيا وأنها زُيّنت بها لمنفعتين هما: تحصيل الزينة والتجميل، والحفظ من أذى الشيطان المارد.

- الشياطين كانت تصعد إلى السماء الدنيا لاستراق السمع فترمى وقتًا، ولا تُرمى وقتًا... فلما كانت بعثة النبي ﷺ صاروا يرمون دائمًا واجبًا من كل جانب، حيث ملئت السماء بالحرس والشهب والنيازك الراجمة، ولم يعد مجال للشياطين تكذب على الناس في ادعاء استراق السمع، واختلاس الكلام كما كان يحدث قبل البعثة.

- ذكر أصناف الملائكة تدعو المسلم للتمثل بأخلاقهم في الدأب على الطاعة، والصف والانتظام للعبادة والذكر والتلاوة.

- ذكر صفات الشياطين يدعو المسلم للتحرز من أذاهم، والتحصن ضد شرهم، وتجنب مسالكهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إثبات المعاد الحشر والنشر والقيامة: ١١ - ٢١:

الاستفتاء نوع من السؤال، وهو هنا للتوبيخ والتقريع، والمحاجة والتغليظ، ومما لا جدل فيه أنهم يقرون بالجواب في أن تلك المخلوقات أشد خلقًا، وأصعب إيجادًا، فكيف ينكرون البعث وهم يعايشون ما هو أعظم منه؟ ثم بين سبحانه مدى هذا التفاوت في بيان أصل خلقهم لأبيهم آدم من طين لزج رخو يلتصق باليد لضعفه. ثم تكاثروا وتناسلا، فإذا كانوا في خلقهم على هذه الهيئة من الضعف فكيف يستبعدون المعاد؟ ويقرر القرآن أن حالهم العجب لا حاجة لاستفتائهم، فهم أهل عناد، وأنت يا محمد تتعجب من قدرته تعالى على هذه الخلائق العظيمة، وإنكارهم للبعث، وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث، تتعجب من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث لأنك موقن بقدرة الله تعالى فيما أخبر عنه من البعث بعد الفناء وهم على النقيض من ذلك يهزؤون ويسخرون فيما تريهم من معجزات ومن آثار قدرة الله تعالى. وإذا وُعظوا بالقرآن لا يتعظون لاستكبارهم، وإذا عاينوا معجزة تدل على صدقك كانشقاق القمر، وتكليم الحجر والشجر، بالغوا في السخرية، وتنادوا للتهكم والاستهزاء. وقالوا: ما هذا الذي يأتينا به من الدلائل إلا سحر واضح، ظاهر فلا يؤبه له، ولا ننخدع به، ثم تساءلوا منكرين: أنبعث أحياء بعد أن متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية؟ وهل يبعث أيضًا أسلافنا الأقدمون؟ وهو أشدّ غرابة، فأجابهم الله: قل لهم أيها الرسول: نعم تبعثون أحياءً مرة أخرى، بعد أن تصيروا ترابًا، وأنتم ذليلون حقيرون، وما أيسر ذلك وأسهله في قدرة الله، فلا يتطلب أكثر من نفخ إسرافيل في الصور بأمر الله تعالى للخروج من الأرض فإذا هم قيام من قبورهم أحياء، وحين ينظرون إلى أهوال يوم القيامة يقولون: يا ويلنا، أي لنا الويل والهلاك حيث حل موعد الجزاء والعقاب على ما قدموا من كفر بالله وتكذيب للرسل،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فتجيبهم الملائكة توبيخًا وتقريعًا: هذا يوم الحكم والقضاء المبرم بين الناس الذي يفصل فيه بين المحسن والمسيء.

- **يُستفاد من الآيات:**

- الإيمان باليوم الآخر وما فيه ركن أساس من أركان الإيمان.

أ- قدرة الله المطلقة في خلق ما يشاء.

ب- صفة الخلق لازمة للخالق، وهي قديمة أزلية لا تنفك عنه أبدًا.

ج- إعادة الخلق ثانية يوم القيامة أمر ميسور بالنسبة لإبداع وخلق الإنسان أولاً، وهذا هو الأعجب.

د- عدم الانتفاع بالإيمان عند معاينة العذاب.

هـ- تقرير البعث وبيان طريقة وقوعه.

- تعبد الله عباده بهذا الشرع الحكيم من خلال الدعوة إليه، لذلك كان طلب العلم فريضة والجهل في الدين مرفوض خاصة فيما يتعلق بالأحكام الشرعية تحليلاً وتحريمًا، ويسأل أهل الذكر فيما يجهله من قضايا شرعية.

- خلق آدم من تراب يشير إلى تواضع الإنسان وعدم غروره، حين يعلم أن منشأه منه ومصيره في النهاية إليه.

- الإنسان عدو ما يجهله والعاقل من يبتعد عن السخرية بالحقائق، والاستهزاء بالمسلمات إذا ظهرت له الدلائل والبينات، ولا يتعنت في قبول الحق.

- العدل الإلهي اقتضى أن يكون هناك يوم الفصل ليعطي كل ذي حق حقه دون بخس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مسؤولية المشركين في الآخرة وأسبابها: ٢٢ - ٣٧:

تُتابع الآيات الحديث عن أحوال المشركين، وكيف يساقون إلى النار في ذُلٍّ وهوان لا يجدون النصير ولا المعين، ثم تصور تخاصمهم فيها وتلاوم الأتباع والمتبوعين كل يلقي التبعة على الآخر.

ينتقل السياق من الخبر إلى خطاب الله الموجه للملائكة الموكلين بالتنفيذ في موقف الحشر، أن يجمعوا للحساب المكذبين بيوم الدين وهم الأصناف الثلاثة: الظالمون المشركون، وأشباههم، وقرناءهم من الشياطين، فيضمُّ كل شكل إلى شكله، وكل صاحب من الكفرة إلى صاحبه، أو نساؤهم الكافرات، ومعبوداتهم من الأصنام والأوثان. ووجه حشرها مع عابديها مع كونها جمادات لا تعقل زيادة في تبكيت عابديها، وحسرتهم وتخجيلهم، وإظهار أنها لا تنفع ولا تضر، وتؤمر الملائكة أن يعرفوهم طريق النار، ويدلّوهم عليها زيادة في التهكم والازدراء، والجحيم طبقة من طبقات جهنم يقال إنها الرابعة، كما تؤمر بحبسهم في الموقف للحساب. والسؤال عن الأقوال والأفعال من الخطايا وإنكار كلمة التوحيد، وظلم الخلق، وفي الآية تقديم وتأخير، فالوقوف قبل السَّوْق إلى الجحيم. أي: يقوهم للحساب ثم سوقوهم إلى الجحيم وقيل: يساقون إلى النار أولاً، ثم يُحشرون للسؤال. لحديث أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه» الترمذي بسند صحيح، ثم يساءلون توبيخًا وتقريعًا: ما بالكم لا ينصر بعضكم بعضًا فيمنعه من عذاب الله كما كنتم في الدنيا متناصرين؟ وفيه إشارة إلى جواب أبي جهل حيث قال يوم بدر: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [القمر: ٤٤] بل هم اليوم جميعًا منقادون لا حيلة لهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتشهد ساحة القيامة تلاومهم وخصامهم، فيتساءلون وسخطًا وتقريعًا كل يُلقي التبعة على الآخر، فيسأل الأتباع رُؤساءهم عن سبب إعراضهم وحملهم على الضلال، وقسرهم عليه، وذلك حين يأتونهم من جهة الخير فيصدونهم عنه.

وفي لفظ (اليمين استعارة لعدة معان):

١- استعيرت مجازًا لجهة الحق والدين فعبر عنها باليمين إذ هي الجهة التي يتيمن بها وبكل ما فيها. والمعنى أنكم تأتوننا من قِبَلِ الدين وناحية الخير فتصدوننا عنه، ويُلأبسون الحق علينا.

٢- استعيرت مجازًا لجهة القوة والشدة حيث يقع بها البطش والقهر. والمعنى: أنكم كنتم تقروننا بقوتكم بحكم السيطرة والرئاسة، وتحملوننا على طريق الضلال، وتقسروننا عليه.

٣- استعيرت مجازًا لجهة التمويه والإغراء، وهي جهة الرشد والصواب. والمعنى: أنكم كنتم تموهون في هذه الغوايات.

٤- استعيرت مجازًا بالحلف، فاليمن هنا بمعنى القسم. والمعنى: يحلفون لنا ويأتوننا إيتاء من إذا حلف لنا صدقناه.

فيرد الرؤساء يذكرونهم رفضهم الإيمان وإعراضهم عنه، وأن اختياركم للطغيان طواعية منكم لا قسرًا ولا جهرًا، ولم نتعدَّ أمر الدعوة إليه لنجبركم عليه بل كانت استجابتكم برغبتكم فلزمنا جميعًا وعيد الله تعالى بذوق العذاب، فدعوناكم للقي والضلال فاستجبتم لنا.

ثم بعد هذا الجدل بين الطرفين يقرر الحق تبارك وتعالى مآلهم، وأن حكم لكل مجرم، تابعًا كان أو متبوعًا أن يلقى في النار.

ثم يخبر المولى سبحانه عن سبب عذابهم، وهو أنهم كانوا إذا دعوا إلى كلمة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التوحيد أنكروها وأبوا إلا الشرك، كذلك أنكروا الرسالة حين اتهموا النبي ﷺ بالسحر والجنون ولا يخفى ما في اتهامهم ذاته من الخلط، إذ كيف يُسَوَّي بين الشاعر في حذقه وفهمه والمجنون في غيِّه وإطباقه؟ فيكذبهم بإثبات الحق في شهادة التوحيد، وصدق النبي ﷺ في رسالته التي جاءت خاتمة الرسالات. مؤكدة لمضامينها، ومؤيدة لأصولها، نافيًا عنه الشعر والجنون.

- يستفاد من الآيات:

- اليمين أشرف العضوين وأمتنهما، فكانوا يتيمنون بها، ويتشاءمون بالشمال فتيمنوا بالسانح، وهو المار من اليسار إلى اليمين، وتطيروا بالبارح وهو المار من اليمين إلى الشمال. وفي الشريعة الإسلامية كان رسول الله ﷺ يحب التيامن في كل شيء. ما استطاع في طهوره ونعله وترجله كما جاء في سنن النسائي، وجُعل اليمين لكاتب الحسنات، والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه، والمسيء أن يؤتاه بشماله. والآية استعيرت لجهة الخير وجانبه، فمن جاءه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبَّس عليه الحق ومن أتاه من قبل الشمال أتاه من قبل الشهوات، ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة والثواب والعقاب، ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده، فلم يصل رحمًا، ولم يؤدّ زكاة. (الكشاف جـ ٤ صـ ٤٢).

- مهمة الداعية تبليغ الدعوة وعرض كلمة التوحيد على الناس كما صنع النبي ﷺ مع عمه أبي طالب كما في حديث البخاري.

- جرت السنة في تلقين الموتى المحتضرين لا إله إلا الله ليخالفوا الكفرة ويخضعوا لها لقوله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» رواه مسلم.

- كل إنسان مسؤول عن عمله مسؤولية فردية تكليفية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- كلمة التوحيد نادت بها جميع الرسالات السماوية وأكدتها رسالة الإسلام فأصول الدين واحدة والشرائع متعددة متنوعة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٨].

- الشرك بالله أشد أنواع الظلم: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين: ٣٨ - ٦١:

يتتابع الحديث هنا في نقلة بلاغية الغيبة إلى الحضور موضحًا عدم الفائدة من حوار دعاة الضلال وأتباعها، فقد شملهم العذاب جميعًا بمقتضى قانون العدل الإلهي المطلق، فالجزاء من جنس العمل، والعدل أساس الجزاء يوم الحساب، فمن آمن وعمل صالحًا فهو ناج من العداء في نعيم خالد، ومن جحد وأشرك فهو خاسر من الأشقياء في جحيم دائم، والآخرة هي الفيصل في ذلك، والحجة فيها على الفريقين ووعد الله تعالى، لا يخلف. لذلك يخاطب عموم البشر بإعلان هذا العهد، فعقوبتهم مماثلة شرهم، أما صادقوا الإيمان فجزاؤهم أضعاف ما أحسنوا وأخلصوا فهم ناجون، لا يذوقون العذاب، ولا يُناقشُون الحساب، بل يتجاوز المولى عنهم ويكرمهم برزق معلوم الخصائص، من حُسْن المنظر، ولذة الطعم، وطيب الرائحة، وخَصَّ الفواكه بالذكر لأن كل ما يؤكل في الجنة إنما هو سبيل التفكُّه والتلذذ، لا للتغذي والتقوت وهم ينعَّمُون فيتكئون على سرر متقابلين تواصلاً وتحببًا، لا ينظر أحدهم إلى قفا بعض، وفي أحيان ترفع عنهم ستور، فينظر بعضهم إلى بعض، وأعظم أحيانهم متحيزون في قصورهم. ويبين (أبو حيان في بحره) مظاهر الرزق والإكرام فيقول: ذكر أولاً الرزق وهو ما تتلذذ به الأجسام، وثانيا الإكرام، وهو ما تتلذذ به النفوس ثم ذكر المحل الذي هم فيه وهو جنات النعيم، ثم أشرف المحل وهو السرر، ثم لذة التآنس بأن بعضهم يقابل بعضًا وهو أتم السرور وآنسه، ثم المشروب وأنهم لا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتناولون ذلك بأنفسهم بل يُطافُ عليهم بالكؤوس، ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتقاء المفاسد، ثم ذكر تمام اللذة الجسمانية وختم بها كما بدا باللذة الجسمانية من الرزق، وهو أبلغ الملاذ، وهي التآنس بالنساء» (جـ ٩) (ص ١٠٠).

والشراب الذي يقدَّم إليهم من عيون تجري بالخمر التي لا تُسكر، وهي شديدة البياض لذيذة الطعم، طيبة الرائحة، لا تذهب بالعقول، ولا تُسبب صُدَاع الرأس، ولا وجع البطن، وفي ذلك إيماء إلى مفاسد الأخيرة مما اتصفت به من الغَوْل وهو اسم عام في الأذى، واشتهرت بالإسكار، وذهاب العقل، والاعتصار والاختزان وعن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو مدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة» رواه أحمد، وهو صحيح.

ثم يتم وصف حالهم في النعيم ببيان صفة زوجاتهم، فهن عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن، ولا يُرون غيرهم عفة وحياء، ذوات عيون واسعة حسان، بياضهن أشد بياضًا من البيض داخل قشرية قبل أن تمسه الأيدي، وفي حسنهن ونظافتهن ببيض النعام المغطى بالريش، فتشبه النساء بها فيسمين: بيضات الخدور وفُسِّر المكنون بالمصون عن الكسر كناية عن أنهن عذارى.

ثم تتحدث الآيات عن أهل الجنة يتجاذبون أطراف الحديث في متع نفسه، بعد بيان ألوان من المتع المادية في الجنة، فيسأل بعضهم بعضًا متذاكرين ما مر بهم من أحداث في الدنيا، وما عانوا فيها. فيقول مؤمن منهم متذكرًا أحد أصحابه من قرناء السوء في الدنيا من المستهزئين بالبعث والمنكرين له، محتجًا على إعادة الحياة والحساب والجزاء مستخفًّا به، ثم يطلب من جلسائه مطالعته في النار ورؤيته في عذابه يُجازى

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه، ثم يخاطبه بعد أن عاينه يتلظى في عذابه ورآه في وسط الجحيم فيذكره موبخًا بمحاولاته في إغوائه في الدنيا وسعيه في إهلاكه حين كان ينكر الإيمان بالبعث ويسخر منه مقرًّا بفضل ربه عليه في ثباته على الإيمان الذي حماه وعصمه من حضوره معه في هذا المآل الذي لا يُحسد عليه -و(أحضر) لا تستعمل مطلقًا إلا في الشر- ثم يعود المؤمن يسائل جلساءه من أهل الجنة مبتهجًا مسرورًا، وباستفهام تقريري يعبر عن ابتهاجه وسروره، وتحدثًا بنعمة الله تعالى عليه، وبمسمع من قرينه ليكون توبيخًا له، وزيادة في العذاب، أنحن مُخَلَّدون مُنَعَّمون، فما نحن بميتين ولا مُعذَّبين؟ والحال أن هذه حال المؤمن ألا يذوق إلا الموتة الأولى، بخلاف الكفار في النار، فإنهم يتمنون فيها الموت كل ساعة. وقيل لحكيم: ما شرٌّ من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت.

ثم تأتي خاتمة الموقف الحواري بتقرير قاعدة العدل الإلهي وهي أن الخلود في دار النعيم والنجاة من النار، هي حقيقة الفوز العظيم، فليعد العقلاء والعاملون عدتهم بمواصل عملهم وإخلاصهم لله تعالى بكثرة الصالحات، واجتناب السيئات لتحقيق هذا الفوز العظيم فهو الخير الحقيقي، أما خير الدنيا فنسبي مؤقت لا يرقى إلى الكمال والتمام مهما تنامى وتسامى.

- يستفاد من الآيات:

- في وصف خصال خمر الآخرة تنزيه لها عن صفات خمر الدنيا فكفاها أنها أم الخبائث.

- الحذر من رفاق السوء وقرناء الشر فالصاحب ساحب والصديق عنوان صديقه.

- لا حرج من التحدث بنعمة الله إظهار الفضل وشكر النعمة.

- الكفار مجزيون على كفرهم وتركهم التوحيد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بواحدة وذلك من فضل الله على عباده.

- نعيم الجنة وعذاب النار حقٌّ محتم، وعدل محقق، والجزاء من جنس العمل.

- الناس في الآخرة ثلاث فئات: مؤمن حقًّا يدخل الجنة فلا يخرج منها أبدًا.

وكافر حقًّا يدخل النار فلا يخرج منها أبدًا، وفاسق عاصي يدخل النار فيعذّب على ذنوبه، ويمكث فيها مدة عذابه، ثم يخرج فيها ليخلد في الجنة أبدًا.

- الحوار بين أصحاب الجنة والنار ثابت بالنص في سورة الأعراف.

- الوفاة مرحلتان: معنوية مؤقتة، وتتمثل بالنوم، وحقيقية دائمة وتتمثل بالموت وهو انتقال من نهاية مرحلة إلى دار الممر وهي الحياة الدنيا إلى مرحلة دار المستقر وهي الحياة الآخرة وهي التي لا تموت أبدًا.

جزاء الظالمين وألوان عذاب جهنم: ٦٢ - ٧٤:

تبين الآيات ألوان العذاب في الجحيم، ليقيم الله تعالى الحجة على خلقه حين اهملوا عقولهم وكفروا بربهم، وأنكروا الحساب، فها هو الجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحدًا.

وهذه التساؤلات يهدف في مضمونها إلى التنبيه على فضل المؤمن وفوزه، ومآل الكافر وخسارته، وتقرر لقريش وكفار مكة المستهدفين بالخطاب حقيقة لابد من إدراكهم لها وهي: أن عطاء الله للمؤمنين في الجنة لا يحد، وإكرامه في وفاتهم حق وصدق، وقد جاء التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك على سبيل التقرير والتوبيخ، فمن يقارن بهذا العطاء عذاب الكافرين، فإنما يهدف إلى التهكم والسخرية بهم، إذ المعادلة بين النُّزلين مقارنة للثرى بالثريا، فأنى لطعام الزقوم أن يُعدَّ إكرامًا؟ واعتبر النَّزل- وهو الطعام المهيأ للضيف- إكرام أهل الجنة، وأشار إليه باسم الإشارة المفرد البعيد، ليدل على بعد المرتبة وسموِّها، حيث الشيء النفيس الشريف يخيل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عاليًا، والعالي يلازمه البعد عن المكان المعتاد وهو السفل. والزقوم طعام أهل النار جعله الله ابتلاء لأهل الضلال، فحين سمع الكفار ذكر شجر الزقوم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟ وكان أبو جهل يقول لأصحابه أتدرون ما الزقوم؟ إنه الزبد والتمر، ثم يأتيهم به ويقول: تزقَّموا هذا الذي يخوفنا به محمد ﷺ» جامع البيان للطبري (٢٣/ ٤١).

والزقُّوم في الدنيا شجر من أخبث الشجر في الصحاري خشن، منكر الصورة، كريه الرائحة، صغير الورق، مسمومٌ، فيه لبن، إذا أصاب جلد الإنسان تورَّم ومات منه في الغالب، وكأنه مشتق من الزَّقمة، وهو اسم الطاعون.

أما زقُّوم الآخرة في النار، فهو شجرة تنبت في قعر جهنم، تتفرع أغصانها بين دركاتها، وعبر عن ثمراتها بالطلع تشبيهًا بطلع النخلة، وشبهه برؤوس الشياطين في تناهي القبح والبشاعة، فهي وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين، إلا أنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر والعرب تشبه القبيح بالشيطان، وجميل الصورة بالملك، وفي الحديث الصحيح: «ولكأن تخلها رؤوس الشياطين» وفي حديث الترمذي الحسن الصحيح في صفة شراب أهل النار: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل النار معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟».

ومن معاني التزقُّم: البلع على جهدٍ لكراهتها ونبتها، فتزيد العقوبة حين يشتد جوعهم فلا يجدون مفرًّا من أكلها كرهًا واضطرارًا، ثم بعد مليء البطون منها تزداد الحاجة للريّ بعد أن يغلبهم العطش فلا يجدون بدًّا من شرب الماء الحار، فيكون حال المشروب في البشاعة أعظم من حال المأكول، فيصبُّ لهم الماء الحار في الحميم، ويمزج لهم، ليجمع بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظًا لعذابهم، وتجديدًا لبلائهم، ويكون موضع الأكل والشرب في الحميم خارج الجحيم، فيردون الحميم لشربه،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما ترد الإبل إلى الماء، ثم يعودُون إلى الجحيم.. وسبب هذا اللون من العذاب أنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاقتدوا بهم وقلَّدوهم دون تعقل وتدبر، بل كانوا يتسابقون في التقليد مسرعين في رعدة دون حجة أو برهان.

وهذا يؤكد أن ظاهرة الكفر قديمة، وأتباعهم كثيرون، رغم إرسال الرسل، وإنذار الكافرين إلا أنها سنة الله تعالى في خلقه أن يعرض الكفار عن دعوة المرسلين عنادًا واستكبارًا، ولا يتبعهم إلا الخلص من المؤمنين، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ مما كان يلاقيه من صد قريش عن دعوته. فله في قصص الأنبياء من قبل في دعواتهم لأقوامهم الأسوة والقدوة في الصبر والتحميل، ولقريش العبرة والعظة فيما حلَّ بالكفار والمكذبين بالرسل من هلاك ودمار وعقاب.

- يستفاد من الآيات:

- اعتقاد المسلم بما في الآخرة من عدل الله ولطفه يطمئن قلبه بموعود الله تعالى وهي الجنة.

- التقليد الأعمى شؤم على المقلِّد وعلى من يتبعه.

- الأشياء وأضدادها تبرز للإنسان الحقائق فيتخذ القرار المنجي.

- الهدى والضلال حقيقيتان ثابتتان متباينتان في الوجه والغاية. ولا اعتبار للقلة والكثرة فيهما.

- ضرب الأمثلة بقصص الأمم السابقة فيه تذكير وسلوان للنبي ﷺ وللدعاة من بعده.

- تشبيه المحسوس بالمتخيل أسلوب قرآني بليغ في الدلالة على المشبه به.

- الحسن والقبح ضدان يتقلَّبان في الأشياء والمخلوقات لحكمة، وقد خلقهما الله للإنسان فتنة وابتلاء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصة نوح: ٧٥ - ٨٢:

جاء دعاء نوح عليه السلام حين أيس من إيمان قومه، بعد أن دعاهم أحقابًا ودهورًا، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارًا ونفورًا، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: ٥- ٦]. وقد تضمن هذا النداء المبارك لنوح عليه السلام، الاستغاثة بالله تعالى، والدعاء على قومه، وسؤال النجاة، وطلب النصرة، قال تعالى على لسان: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: ٢٦]. وقال أيضًا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝١٠﴾ [القمر: ١٠]. وفي جميعها وقعت الإجابة على أكمل ما أراد نوح وأهلك قومه بالطوفان.

أخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ في بيتي فَمَرَّ بهذه الآية: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝١٠﴾ [القمر: ١٠] قال: صدق ربنا أقرب من دعا، وأقرب من دُعِي، وأقرب من بُغِي، فنعم المدعو، ونعم المعطي، ونعم المسئول، ونعم المولى أنت ربنا ونعم النصير» روح المعاني للآلوسي (٢٣/ ٩٨).

ويشير فعلم المدح (نِعْمَ) إلى جملة من مظاهر الإنعام، وصيغة الجمع في: ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٢٦﴾ [المؤمنون: ٢٦] دليل العظمة والكبرياء، ثم يأتي بعد هذا الإنعام مفصَّلاً بعد أن ذكر مجملاً.

فابتدأه بإنجاء الله تعالى إياه، ثم إنجاء أهل دينه، وهم من آمن معه، نجاهم الله تعالى من الكرب العظيم، وهو الغرق، وتكذيب الكفرة، وأذى قومه، وركوب الماء وهوله، والخبر الثقيل على القلب، والحزن، والغم الشديد، والمعْنِي به الطوفان، وهو كرب عظيم على الذين وقعوا فيه، وإنجاء نوح منه، هو سلامته من الوقوع فيه، لأنه هول في المنظر، وخوف في العاقبة، والواقع فيه موقن بالهلاك، ولا يزال الخوف يزداد به حتى يغمره الماء، ثم لا يزال في آلام من ضيق النفس، ورعدة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرّ، والخوف، وتحقيق الهلاك حتى يغرق في الماء.

أما النعمة الثانية: فهو جعل ذريته أصول البشر، والأعراق، والأجناس، وجعل عمران الأرض بها، وهي نعمة دائمة لأنهم يدعون له، ويذكر بينهم، وهم وحدهم الباقون دون غير على قيد الحياة، والآية تفيد الحصر. وهو أن كل من سواه وسوى ذريته ممن كفر بدعوته قد فنوا ومنهم زوجته وولده الرابع (كنعان) الذي أبى الاستجابة لأمره، وقد أشار القرآن الكريم إليهما في آيات من كتابه الكريم.

قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة: سام، وحام، ويافث.

فسام: أبو العرب، وفارس، والروم.

وحام: أبو السودان.

ويافث: أبو الترك، والصقلب، والخزر، ويأجوج ومأجوج، وما هنالك.

وعن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش» الترمذي بإسناد حسن.

فنوح آدم الأصغر، والأب الثاني للبشر، لأن ذريته هم ركَّاب السفينة، وهم الأحياء فقط، والذين بقوا من نسله بعد فناء قومه، قال ابن عباس: أهل الأرض كلهم من ذرية نوح، وهو شيخ الأنبياء، بل أول الرسل إلى الأرض، كما في حديث الشفاعة: «اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحًا عليه السلام فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ألا تشفع لنا عند ربك؟» البخاري.

وأما النعمة الثالثة: فهي إبقاء الثناء الجميل والذكر الحسن، فيمن يأتي بعده من الأمم، فعند ذكر بني إسرائيل في معرض الاقتداء به في قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣] بل إنه لم يبعث نبي بعده إلا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمر بالاقتداء به. أما تعيين هذا الثناء فيحمل معنى التحية والتعظيم والسلام الدائم في أوساط العالمين، من إنس، وملائكة، وجن غابر الدهر، قال الطبري عن هذا السلام: هذه أمنة من الله تعالى لنوح في العالمين أن يذكره أحد بسوء. «جامع البيان للطبري» (٢٣/ ٦٨).

وقال ابن عطية: «هذا جزاء ما صبر طويلاً على أقوال الكفرة الفجرة» (المحرر الوجيز ١٢/ ٧١).

أما مبررات هذه الإنعامات السابقة فتتمثل في:

١- مجازاته على إحسانه، وثناء الله تعالى على نوح بالإحسان لعبده على أذى قومه.

٢- كونه محسنًا ومن عباد الله يدلل على أن الإيمان والطاعة لله من أعظم الدرجات وأسمى المقامات. ويشير إلى عظمة رتبة الإيمان وفضله، ومكانته ومنزلته.

٣- إغراق كفار قومه بالطوفان وإهلاكهم، عظة وعبرة لغيرهم.

٤- بقاء ذكر نوح وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر، لإحسانه وإيمانه.

يُستفاد من الآيات:

- من ثمرات الإيمان: الإنجاء من المهالك والإسعاد في الدارين، وبقاء الأثر، والسمعة الطيبة، والذكر الجميل أبد الدهر.

- الدعاء مخ العبادة، والحذر من دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، يقول الربُّ وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين» قال الترمذي: هذا حديث حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصة إبراهيم عليه السلام: ٨٣ - ١٠١:

في قصة نوح إنجاؤه من الغرق، وفي هذه القصة إنجاء إبراهيم من النار. وفي الآيات، تذكير للنبي ﷺ بإخوانه من الأنبياء والمرسلين، وأنهم سلسلة واحدة متتالية في حمل الرسالة وأداء الأمانة، يُشايع بعضهم بعضًا، ويُشابهه في التصلب للدين، ومصابرة المكذبين فإبراهيم ممن سار على ملة نوح في أصول الدين والتوحيد، وإن اختلفت شرائعهما، أو اتفق أكثرهما، وقد كان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة تعاقب خلالها نبيان، هما: هود، وصالح عليهما السلام، وقد أقبل إبراهيم على ربّه بقلب خالص موحِّد، خالٍ من شوائب الشك، نافر من الشرك، وجميع النقائص، كالغِلّ، والحسد، والكبر، كما أنه جمع مكارم الأخلاق ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥] وهو منزه عن كل خلق ذميم، واعتقاد سقيم، يقول النبي ﷺ: «إني بعثت بالحنيفية السمحة» إسناده حسن.

وقد حاور أباه وقومه في دعوتهم ومنهجهم، وأقام عليهم الحجة حين أنكر عليهم ما يعبدون من الأصنام، وبين لهم وجه الإفك- وهو أسوأ الكذب الذي لا يثبت ويضطرب- في اتخاذ تلك الأوثان آلهة من دون الله، وحاججهم بأسلوب استفهام توبيخي تقريري يحمل معنى التحذير والوعيد، أي: أكذبا ومحالاً تريدون آلهة غير الله، حيث جعلتموها يكذبكم بألسنتكم آلهة وهي أحجار وأصنام؟ وما ظنكم حين تلقون ربكم أنه فاعل بكم وقد عبدتم معه غيره ؟.

ثم أراد إبراهيم أن يقيم عليهم الحجة في أصنامهم التي لا تضر ولا تنفع فاختار طريقة التفكير والنظر في النجوم، إذ هم يستعملونها في رعيهم وفلاحتهم، ليوهمهم من خلالها أنه عليل، كي يخلو بينه وبينها، والحق أن نظر إبراهيم في النجوم إنما كان من قبيل التورية، فإنه أراد شيئًا وفهموا منه شيئًا آخر، تمهيدًا لخطته التي بينها في أن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يكايد أصنامهم حين يخرجون لعيدهم غدًا، فيتخَّلف عن الخروج دون أن يطلعوا على ما بيت عليه النية، وبه يتبين أن إبراهيم عليه السلام لم يقدم على النظر في النجوم كما يفعل عبدتها فذلك غير جائز، ولم يكن كاذبًا في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

واختلف في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ فقالت طائفة: هي كذبة في ذات الله تعالى، أخبرهم عن نفسه أنه مريض، وأن الكوكب أعطاه ذلك وعلى هذا التأويل يأتي الحديث الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ منهنَّ في ذَاتِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، قَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩]. وقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وقالَ: بيْنَا هو ذَاتَ يَومٍ وسَارَةُ، إذْ أَتَى على جَبَّارٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فقيلَ له: إنَّ هَا هُنَا رَجُلًا معهُ امْرَأَةٌ مِن أَحْسَنِ النَّاسِ، فأرْسَلَ إلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقالَ: مَن هذه؟ قالَ: أُخْتِي، فأتَى سَارَةَ قالَ: يا سَارَةُ ليسَ علَى وجْهِ الأرْضِ مُؤْمِنٌ غيرِي وغَيْرَكِ، وإنَّ هذا سَأَلَنِي فأخْبَرْتُهُ أنَّكِ أُخْتِي، فلا تُكَذِّبِينِي، فأرْسَلَ إلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عليه ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بيَدِه فَأُخِذَ، فَقالَ: ادْعِي اللَّهَ لي ولَا أَضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللَّهَ فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ، فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقالَ: ادْعِي اللَّهَ لي ولَا أَضُرُّكِ، فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِه، فَقالَ: إنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بإنْسَانٍ، إنَّما أَتَيْتُمُونِي بشيطَانٍ، فأخْدَمَهَا هَاجَرَ، فأتَتْهُ وهو قَائِمٌ يُصَلِّي، فأوْمَأَ بيَدِه: مَهْيَا، قالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الكَافِرِ، أَوِ الفَاجِرِ، في نَحْرِه، وأَخْدَمَ هَاجَرَ قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ تِلكَ أُمُّكُمْ يا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ» صحيح البخاري.

وقالت طائفة: ليست بكذبة ولا يجوز الكذب عليه ولكنها من المعاريض الجائزة كما في حديث مطرف، قال: صحبت عمران بن حصين إلى البصرة، فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه الشعر وقال: «إن في معاريض الكلام لمندوحة عن الكذب» البخاري في الأدب المفرد، فهو حين أخبرهم أنه سقيم، أراد أنه سقيم النفس، من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أموركم وكفركم، وهذا يدل على أنه لم يكن سقيمًا، وإنما عرّض لهم، وهكذا في المعاريض.

وهذا التأويل لا يرده الحديث وذكر الكذبات، لأنه قد يقال لهذا كذب على الاتساع بحسب اعتقاد المخبر، وقد رخص بالكذب تعريضًا في المكيدة والحرب وإمضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين.. والكذبُ الذي هو قصد قول الباطل والإخبار بضد ما في النفس بغير منفعة شرعية هو الذي لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام، وتسميته بالكذب في الحديث الصحيح إنما هو بالنظر إلى ما فهم القومُ منه لا بالنظر إلى قصده ﷺ كما أن جعله ذنبًا في حديث الشفاعة لما يتبين له أنه كان خلاف الأولى، وكذا يقال في: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ والصحيح أن الكذب حرام إلا إذ عرض به وورَّى عنه.

قال ابن كثير: ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يُذَمُّ فاعله، حاشا وكلا ولا، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزًا، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي. لحديث: «إن لكم في المعاريض لمندوحة عن الكذب» تفسير ابن كثير (جـ ٤) (ص ١٥).

وقال القرطبي: فإبراهيم صادق، لكن لما كان الأنبياء لقرب كلهم واصطفائهم، عُدَّ هذا ذنبًا، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]. والجامع للقرطبي (١٥/ ٩٣).

ثم إن إبراهيم ﷺ بحجته هذه استطاع الانفراد بالآلهة ليحقق هدفه فيها، وقد تركوا عندها طعامًا لتباركه، فبادرها السؤال تهكمًا واستهزاءً مستفهمًا المانع من عدم أكلها الطعام وهو بهذا يعزز وجه الاحتقار لها لأنها منحطة عن رتبة عابديها، إذ هم يأكلون وينطقون بخلافها، وليقينه في أنها جمادات لا تعقل، لكنه يتابع خطته

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيميل عليها خفية بقوة وشدّة فيحطمها إلا كبيرها، حيث تركه، لعل لسان حال المشهد يعيدهم لرشدهم إن هم أنصفوا التفكير، وعقدوا المقارنات.

وحين عادوا من عيدهم فوجئوا بالخبر، فأتوا مسرعين ﴿يَزِفُّونَ﴾ يسألون عمن حطمها وكسرها وحين أيقنوا الفاعل عاتبوه، فقالوا: نحن نعبدها وأنت تكسرها! فرد عليهم يعاتبهم ويلومهم ويوبخهم بسؤالهم عن عبادتهم لما يصنعون ويحتون بأيديهم. والنحت حقيقة في الخشب مجاز في الحجر، والله تعالى المستحق للعبادة وحده، لأنه خلقهم، وخلق ما تعملون وما تصنعون.

وتحتمل (ما) إعرابين: المصدرية، والصلة، بمعنى: (والله خلقكم وعملكم) أو (والله خلقكم والذي تعملون) وفي كليهما دليل على أن الله تعالى خلق الإنسان وخلق أفعال العباد وأعمالهم المكتسبة- وهذا يؤيد مذهب أهل السنة، وفيه ردّ على القدرية، والجبرية، وإبطال لقولهم: أن الإنسان خالق لأفعال نفسه.

روى البخاري عن حذيفة مرفوعًا قال: «إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته فهو الخالق وهو الصانع سبحانه» البخاري.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله خالق كل صانع وصنعته» ذكره الثعلبي، وأخرجه البيهقي من حديث حذيفة. الجامع للقرطبي (١٥/ ٩٦).

ولما غلبهم إبراهيم في الحجة، وأقامها عليهم. مالوا إلى الغلبة، بقوة البطش، والشدة وتواطؤوا على قتله، فتشاوروا فيما بينهم، ثم قرروا أن يبنوا له مكانًا واسعًا، ويضرموا فيه النار المستعرة، ويطرحوه فيها انتصارًا لأصنامهم، فأرادوا به سوءًا بحيلهم ومكرهم، فأنجاه الله تعالى، وجعلها بردًا وسلامًا عليه، وجعلهم أذلة مقهورين في إبطال كيدهم... ولما نجا الله تعالى إبراهيم من إحراق النار، وأيس من إيمان قومه، قرر هجرهم ومفارقتهم، وأعلن هجرته من بلد قومه الذين آذوه إلى حيث

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمره ربه بالمهاجرة إليه، كي يتمكن من عبادته وطمعًا في أن يهديه الله تعالى لما فيه صلاح الدين والدنيا. وإبراهيم أول من سن مبدأ الهجرة في سبيل الله فكانت هجرته من بلاد بابل إلى بلاد الشام المباركة، وفي أثناء الهجرة دعا ربه أن يرزقه الذرية الصالحة لتكون عونًا على الطاعة، وأنسًا في القربة، وعوضًا عن قومه، وكان وقتئذ وحيدًا، فكانت البشارة بغلام انطوت فيه ثلاث خصال:

أنه غلام ذكر، وأنه سيبلغ أوان الحلم وسن الرشد، وأنه يكون حليمًا، أي في كبره، لأن الصغير لا يوصف بذلك، والحليم من لا يتسرع في الأمور ويتحمل المشاق، وأيُّ حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

وجمهور المفسرين على أن الغلام إسماعيل، فإنه أول ولد بُشر به إبراهيم وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلِدَ لإبراهيم ست وثمانون سنة، وَوُلِدَ إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون، كما أن قصة الذبح جرت بمكة، وإسماعيل هو غلامه الذي هاجر معه إليها صحبة أمه هاجر، ويؤيد ذلك حديث رسول الله ﷺ الذي رواه الحاكم في المستدرك عن معاوية بن أبي سفيان أن أحد الأعراب قال للنبي ﷺ: «يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه».

وقوله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين». ويعزز ذلك أن البشارة التالية بعد تمام قصة الذبح كانت لإسحاق في قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

يُستفاد من الآيات:

- مشروعية الدعاء بالولد واستحباب الدعاء لمن رزق بالمولود، كما قال الحسن البصري: «بُورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ رشده، ورُزقت برّه».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- وجوب الهجرة على المؤمن إذا لم يتمكن من إقامة شعائر دينه في أرضه.

- أصل الدين واحد، وهو دين الإسلام الذي يحض على أصول الأخلاق والفضائل ونبذ الشرك والضلال، وإلى توحيد الله، والإيمان به وبرسله واليوم الآخر.

- التعريض والتورية والإيهام جائز إذا كان في ذلك مصلحة شرعية «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب». أما الكذب وتعمد قصده فهو حرام، وتوعد الله الكافرين باللعن والويل والعذاب الأليم.

- وجوب تغيير المنكر لمن قدر عليه لحديث مسلم مرفوعًا قوله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

- طلب البلاء لا يجوز، وسؤال الله العافية منه واجب، وإن وقع فعلى المسلم الصبر، واحتساب الأجر، والرضا بما قضى الإله سبحانه.

- إبراهيم الخليل كان أمة مستقلة في فكره، ودعوته، ومنهجه، وصبره، وعبادته وطاعته وسلامة قلبه، وخشوعه، وأبوته، وهو أبو الأنبياء، وصاحب الملة الحنيفية السمحاء، وخليل الرحمن، وإمام كل مهاجر، وقدوة كل مؤمن وأسوة كل مسلم في الإيمان والتوكل والرضا والصبر والاستسلام لأمر الله تعالى.

- استدل أهل السنة والجماعة على أن أفعال العباد خلق لله عز وجل واكتساب للعباد، والله تعالى هو الخالق للإنسان، وخالق لأفعاله، وفي هذا إبطال لمذاهب القدرية والجبرية القائلين بأن الإنسان خالق لأفعال نفسه قال ﷺ: «إن الله خالق كل صانع وصنعته».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصة الذبح: ١٠٢ - ١١٣:

تتجلى هذه القصة بأروع مثال في التضحية والفداء، وذلك حين كبر إسماعيل، وبلغ سن من يمشي ويقدر على الكسب، أخبره أبوه بما رآه في المنام من أنه يذبحه، ورؤيا الأنبياء حق، وقد أخبره بذلك، ليستعد لتنفيذ أمر الله تعالى، ويكسب المثوبة بالانقياد لأمره، وليعلم صبره لأمر ربه؛ فلم يشاوره ليرجع إلى أمره ومشورته، ولكن ليعلم أيصبر أم يجزع؟ فدعاه إلى نظر الفعل لا البصر، وإعمال الرأي ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ حيث أمر الذبح أمر ابتلاء، لإظهار عزمه، وعلو مرتبته، وكان قد سأل ربه أن يهبه من يرثه، فبعد الإجابة أمره بذبحه بيده، وهو أحبّ النفوس إليه فقابل ذلك الامتثال يقيناً.

ثالثها: الثناء الحسن عليه، فقد بقى له في الأمم المتلاحقة ذكرًا جميلاً، فأحبه أتباع الملل كلها، من يهود ونصارى ومسلمين ومشركين كما قال الله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٤- ٨٥].

رابعها: البشارة بإسحاق، فقد وهبه الله تعالى إياه بعد إسماعيل، وجعله نبيًا صالحًا، وفي ذكر هذه البشارة بعد قصة الذبح ما يؤكد أن الذبيح إسماعيل.

خامسها: مباركة إبراهيم وإسحاق، فقد أمرهما بالنعم والبركات الدنيوية والأخروية، من كثرة الولد والذرية وجعل أكثر الأنبياء من نسلهما، ونسل إسماعيل، وإن من ذريتهما محسن فاعل للخير، وظالم لنفسه بالمعاصي، وفي هذا دليل على أن النسب لا أثر له في الهدى والضلال، وأن النفع ليس بالوراثة والنسب والانتماء، وإنما الانتفاع بالأعمال، وأن لا يعيب الأصول ولا ينقصه سوء بعض ذريتهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

فالظلم في أعقاب إبراهيم وإسحاق لا يعود عليهما بنقيصة وعيب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- يستفاد من الآيات:

- الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العِرْق والعنصر، فقد يلد البرُّ والفاجر، والفاجر والبرَّ، وفساد الأعقاب لا يُعد غضاضة على الآباء، ومناط الفصل هو خِصَال الذات، وما اكتسب المرء من الصالحات، أما كرامة الآباء فتكملة للكمال، وباعث على الاتسام بفضائل الخلال، وإنما يعاب المرء بسوء فعله، ويعاقب على ما اجترحت يداه، لا على ما وجد من أصله أو فرعه.

- لا يُقال إن إبراهيم يذبح ولده معصية، والمعصية لا تجوز، لأن المعاصي والطاعات ليست بأوصاف ذاتية للإيمان، إنما الطاعات عبارة عما تعلق به الأمر من الأفعال طاعة وابتلاء في حقه، لذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ ولما تعلق بنا في ذبح أبنائنا صار معصية.

- الأضحية سنة، ومعروف عند جمهور الفقهاء، واجبة عند الحنفية، على المقيم الواحد، وهي في فحول الغنم من الضأن أفضل من الإبل والبقر.

- رؤيا الأنبياء وحي، وكان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، لكن الشريعة لم تُوح إلى رسول الله ﷺ إلا في اليقظة ورؤية جبريل دون المنام وهي وحي له دون التشريع، كالكشف له على ما يقع، وما أُعِدَّ له ﷺ ولبعض أمته كالإذن بالهجرة وتأويل بالبقرة بشهداء أُحد، وهو ما يؤكد أن الإسراء والمعراج يقظة بالروح والجسد إذ فيه شريعة الصلاة.

- من نذر ذبح ولده لزمه الفداء بكبش عند الحنفية.

- الحكمة من القصة أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، فلما سأل ربه الولد وهبه له، فتعلقت شعبة من قلبه بمحبته لولده، فأمر بذبح المحبوب ليُظْهِرَ صفاء الخِلَّة، فامتثل أمر ربه وقدم محبته على محبة ولده «انظر حاشية الصاوي على الجلالين» (٣/ ٣٤٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- سبب تسمية الأيام بالتروية وعرفة والنحر أن إبراهيم الخليل حين رأى في المنام أنه يذبح ولده، روَّى في نفسه -أي: نكر- أهذا حلم من الله، أم من الشيطان؟ فسمي يوم التروية. لكنه رأى مثله في الليلة الثانية فلما أصبح عرف أنه من الله تعالى. فسمي يوم عرفة. ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهمَّ بنحره، فسمي يوم النحر. «البحر المحيط: ابن حيان» (٩٠/ ١١٦)، «وحاشية الصاوي على الجلالين» (٤/ ٢٤٢).

- اختلف أهل السنة والجماعة والمعتزلة في نسخ حكم الذبح. فذهب أهل السنة إلى أن القصة نُسخ فيها العزم على الفعل، وذهب المعتزلة إلى عدم النسخ إذ لا يصح النسخ إلا بعد وقوع الفعل. «عون المريد لشرح جوهرة التوحيد» (١/ ٥٥٧).

- الله سبحانه يخلق الآثار عند المسببات بمشيئته وقدرته، والمؤثر الفاعل هو الله تعالى وحده، ولكن جعل بين الأسباب والمسببات تلازمًا عاديًا بحيث يصح تخلفها، فلم يشأ للمدية أن تذبح وتفرم، ومن خاصيتها ذلك، كما لم يأذن للنار قبلها أن تحرق، ومن خاصيتها ذلك، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة «مفاتيح الغيب الرازي» (٧/ ١٥١). «والمحرر الوجيز ابن عطية» (١٢/ ٢٨٩).

قصة موسى وهارون: ١١٤ - ١٢٢:

يقسم الله تعالى تحدثا بنعمته على عباده، وامتنانًا بفضله، وتحدُّث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم فقد امتن على موسى وهارون بوجوه إنعام كثيرة تنحصر في نوعين: إيصال المنافع، ودفع المضار.. أما إيصال المنافع فعلى قسمين:

- منافع الدنيا، وتتمثل في الوجود، والحياة، والعقل، والتربية، والصحة، وتحصيل صفات الكمال في ذات كل واحد منهما.

- وأما منافع الدين: فالعلم والطاعة، وأعلى هذه الدرجات النبوة الرفيعة المقرونة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالمعجزات الباهرة القاهرة. وقد فصلها في مواطن عديدة من باقي السور، واكتفى هنا بالرمز إليها. «مفاتيح الغيب للرازي» (٧/ ١٥٥).

- وأما دفع المضار فهي المراد من قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ وفي تفسير النجاة من الكرب معان منها:

١- النجاة من الغرق، فقد أغرق الله تعالى فرعون وقومه وأهلكه، ونجى موسى وهارون ومن معهما من بني إسرائيل، وذلك حين تراءى الجمعان، فقال أصحاب موسى: إنا لمدركون، فأوحى الله تعالى إليه أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق، فاجتازه وبنو إسرائيل، ثم مدَّ البحر أمواجه على فرعون وجنده حتى هلكوا.

٢- نجاتهم من إيذاء فرعون وتعذيبه لهم، فقد كان يستذلهم بسلطانه عليهم، ويسترقهم باستعباده لهم، فيقتل الآباء، ويذبح الأبناء، ويستحيي النساء، ويشغلهم في أخسّ الأشياء، والصناعات والمهن.

٣- خلاصهم من استعباد القبط لهم، بعد أن كانوا تحت أيديهم مقهورين.

- ثم فصَّل أقسام تلك المنّة وعددها فهي:

١- النصر والغلبة، فكانوا هم الغالبين عليهم في كل الأحوال بظهور الحجة وفي آخر الأمر بالدولة الرفيعة.

٢- أنزل عليهم الكتاب العظيم وهو التوراة حيث شملت جميع العلوم التي يُحتاج إليها في مصالح الدين والدنيا، كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨] وقد أوتي موسى الكتاب أصالة، وهارون بالتبعية لأخيه.

٣- أرشدهما إلى الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام وشرع

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله تعالى الذي بعث به كافة رسله، وقد كانت شريعة التوراة زمن موسى هي الصراط المستقيم وطريق الشرع والنبوة الواضح الجليّ المؤدّي إلى الله تعالى. وقد نسخت بالقرآن الكريم، فأصبح القرآن صراطًا مستقيمًا إلى يوم الدين ناسخًا لجميع الشرائع قبله.

كما لا يمنع من جواز المقصود بالصراط المستقيم أن يراد به أصول الديانة التي لا تختلف فيها الشرائع، من دعوة التوحيد، وكليات الشرائع التي أشار إليها قول الحق سبحانه: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣].

٤- أبقينا عليهما من بعدهما في الأمم المتلاحقة ذكرًا حسنًا، وثناءً جميلاً عطرًا دائمًا مستمرًّا إلى يوم الدين.

٥- ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ يحتمل العطف على ما سبق على أنه تفسير وتفصيل لما ترك في الآخرين، فهم يسلّمون، أو أنه كلام مستقل أي سلام من الله والملائكة والإنس والجن أبدًا خالدًا على موسى وهارون. ثم يختم القصة ببيان سبب هذه المنة والإنعام، أي: مثل هذا الجزاء نجزي بالإخلاص من الشدائد والمحن كلَّ من أحسن عمله، فأطاع الله وانقاد إليه ثم بيّن علة الإحسان أنهما من زمرة عباد الله تعالى المؤمنين إيمانًا صالحًا كاملاً، فالفضيلة الحاصلة بسبب الإيمان أشرف وأكمل الفضائل، ولولا ذلك لما حسن ختم فضائل موسى وهارون بكونهما من المؤمنين. «الرازي» (٧/ ١٥٥).

- القصة تناولت ثلاثا قضايا:

أولاهما: وحدة الرسالات: إن الدين عند الله الإسلام الذي أرسله الله تعالى إلى الأمم جميعًا، يدعو إلى التوحيد، والهدى، والإيمان به سبحانه، وينهى عن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشرك والضلال، والكفر والعصيان، ويقيم دعوة الحق، ويأمر بالخير والمعروف، وينهى عن الشر والمنكر.

وثانيهما: نجاة عباد الله المخلصين من العذاب في الدنيا والآخرة.

وثالثهما: إن الإيمان بالله تعالى أصل كل حسن وخير، وهذا ما نلحظه في التعقيب المتكرر لتقدير نوع الجزاء الذي يلقاه المحسنون، وقيمة الإيمان الذي يكرَّم من أجله المؤمنون.

يُستفاد من القصة:

أ- بيان إكرام الله تعالى لأنبيائه ورسله وأعظمها النبوة والرسالة.

ب- بيان فضل الله على بني إسرائيل بنجاتهم من فرعون، وخلاصهم من الرق.

ج- بيان فضل الله على بني إسرائيل، وقد جاءت به الرسل جميعًا، وهو توحيد وإرشاد إلى الحق والصواب.

- التوراة كتاب سماوي دعا بني إسرائيل إلى طريق منير إلا أنه نُسخ بالقرآن الكريم.

- الجزاء من جنس العمل. فجزى المخلصين من الشدائد والمحن.

- في قصة موسى وهارون عبرة حية، ومثل كامل للنبي ﷺ في رسالته وإنزال القرآن عليه. وهدايته وانتشار دينه وسلطانه، وتثبيت وتصديق لدعوته، وتأكيد للمنهج الرباني الذي كتبه الله تعالى وجعله سنته في خلقه.

قصة إلياس: ١٢٣ - ١٣٢:

اتفق المفسرون على أن إلياس نبي من بني إسرائيل التابعين لشريعة التوراة ومن سبط هارون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكنهم اختلفوا في اسمه لاختلاف الروايات في تعيينه:

- فعن ابن مسعود: إسرائيل هو يعقوب، وإلياس هو إدريس.
- وروى عن ابن عباس أنه هو عم اليسع.
- وذهب الطبري إلى أنه إلياس بن ياسين.
- وقالت فرقة: هو من ولد هارون.
- وقال وهب بن مُنبِّه: هو إلياس بن نسي بن فنحاص.

بعثه الله في بني إسرائيل بعد حزقيل، وكانوا قد عبدوا صنمًا يقال له: (بعل) معبود الكنعانيين بسبب مصاهرة بعض ملوك يهوذا الكنعانيين. لذلك قام يخوفهم عقاب الله تعالى، فدعاهم إلى إفراد الله بالعبودية، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وكان قد آمن به ملكهم، ثم ارتد واستمروا على ضلالتهم، ولم يؤمن به منهم أحد. فدعا الله تعالى عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين. ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم ووعدوه بالإيمان، فدعا الله تعالى لهم فجاء الغيث فاستمروا على أخبث ما كانوا عليه من الكفر، فسأل الله تعالى أن يقبض إليه، وكان قد نشأ على يديه اليَسَعُ بن أخطوب ﷺ «ابن كثير» (٤/ ٢١).

وذهب ابن عاشور إلى أن إطلاق وصف الرسول على إلياس لأنه أُمر من جانب الله تعالى بتبليغ ملوك بني إسرائيل أن الله غضب عليهم من أجل عبادة الأصنام. فإطلاق الرسول عليه مثل إطلاقه على وصف رسل عيسى إلى أهل أنطاكية المذكورين في سورة (يس) ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [يس: ١٣]. «التحرير والتنوير ابن عاشور» (٢٣/ ١١٦).

والمقصود بقومه: بنو إسرائيل واختلف في تحديد البعل إلى ثلاثة أقوال:

أقواها: أنه صنم الكنعانيين. وهو أعظم أصنامهم. ويقال له: بعل بك وإليه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نسبت مدينة (بعلبك) المشهورة في بلاد الشام (وهي اليوم بلدة في لبنان).

الثاني: أتدعون بعلاً يعني: ربًّا. وهي لغة أهل اليمن، قاله عكرمة وقتادة وسمع ابن عباس رجلاً ينشد ضالته، فقال له آخر: من بعْلُ هذه؟ أي: من ربُّها؟ فقال له آخر: أنا بعْلُها، قال ابن عباس: الله أكبر، أتدعون بعْلاً؟ ومنه سُمِّيَ الرجل بعلاً، قال تعالى على لسان امرأة إبراهيم: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخٗا﴾ [هود: ٧٢] قال النحاس: القولان صحيحان: أتدعون صنمًا عملتموه ربًّا؟

والثالث: أنه اسم امرأة كانت أتتهم بضلالة، فكانوا يعبدونها، قاله ابن إسحاق.

﴿وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥﴾ من حيث قيل للإنسان على التجوز أنه يخلق وجب أن يكون تعالى أحسن الخالقين، إذ خلق اختراع وإيجاد من عدم، وخلق الإنسان مجاز، وجيء هنا بذكر صفة الله تعالى دون اسمه العلم تعويضًا بتسفيه عقول الذين عبدوا بعلاً بأنهم تركوا عبادة الرب المتصف بأحسن الصفات وأكملها وعبدوا صنمًا، فكأنه قال: أتدعون صنمًا بشعًا جمع عنصري الضعف، وهما المخلوقية، وقبح الصورة، وتطلبون الخير منه، وتتركون من له صفة الخالقية، والصفات الحسنى.

المحرر: ابن عطية (١٢/ ٢٩٤) التحرير والتنوير ابن عاشور (٢٣/ ١٦٧).

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ﴾ المستحق للعبادة وهو الذي صوركم وأنشأكم ويربيكم بنعمه بعد أن أوجدكم من العدم ﴿وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٢٦﴾ إسحاق ويعقوب وإبراهيم.

وكان تكذيبه من قبل قومه المشركين فيما جاء به من عند الله تعالى من الأمر بالتوحيد وترك الأصنام، والإيمان بما جاءت به الرسل، وهم بسبب هذا التكذيب لمجموعون لعذاب الله تعالى، ومجازون على ما قدموا من سوء الأعمال ﴿فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٢٧﴾ أطلق الإحضار اكتفاء منه بالقرينة، ولأن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عرفًا، أو حيث استعمل في القرآن لإشعاره بالجبر. البيضاوي (٥/

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠) أبو السعود (٧/ ٥٥٠) (الألوسي: ٢٣/ ١٤١).

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ الموحدين من قومه فإنهم نجوا من العذاب، وتركنا على إلياس الثناء الحسن الجميل إلى يوم القيامة، فقد استحق التكريم والجزاء لأنه من عبادنا المؤمنين.. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ سلام على إلياس وذويه من آل بيته وأنصاره الذين اتبعوه، وأعانوه، وهم أهل جبل الكرمل الذين استنجدهم إلياس على سدنة (بعل) فأطاعوه وانجدوه.

- **يُستفاد من الآيات:**

- بيان فضل الإحسان، ومجازاة أهله بحسن الجزاء.

- بيان فضل الإيمان وأنه سبب كل خير وكمال.

- مهمة النبي تقتصر على الدعوة والتبليغ، ولا يلزم أن يشاهد عقاب المكذبين وقد أخر الله عقاب قوم إلياس وعذابهم إلى يوم القيامة.

- خُصَّ إلياس بالسلام في هذه القصة لأنها ختام القصص المسلم فيها على أهلها ولتكريم رسل الله تعالى، فالسلام عليهم من قبله، ولبيان جزاء المحسنين، وقيمة إيمان المؤمنين، وأن هؤلاء الرسل الكرام كانوا جميعًا من المتصفين بهذه الصفات، لذلك استحقوا التحية والسلام والذكر الحسن بين الأنام.

«الظلال» (٥/ ٢٩٩٨)، «ونظم الدرر، البقاعي»: (١٦/ ٢٨٦).

- تناقل بعض المفسرين خبر رفع إلياس إلى السماء كالمسيح عليهما السلام، وهذا يحتاج إلى توثيق، والحقُّ إنما هو نقل عما في التوراة ولا نصَّ فيه، إذ الرفع إلى السماء للمسيح عيسى بن مريم حصرًا، بنص القرآن الصريح: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧- ١٥٨].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- احتجَّ المعتزلة بقوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ على أن العبد خالق لأفعال نفسه فقالوا: لو لم يكن غير الله خالقًا لما جاز وصفُ الله بأحسن الخالقين، كما في قول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤] وقد فصَّل العلماء في المسألة، وأثبتوا مذهب أهل السنة فيها. «عون المريد لشرح جوهرة التوحيد» (١/ ٥٧٨).

- أسلوب إلياس في اتباع الحكمة في الدعوة، فقد عاب قومه على عبادة غير الله تعالى، ثم صرح بالتوحيد، ونفى جميع الشركاء عنه، وهذا درس لكل داعية أن يدرك أمراض المدعويين ويستوعبها، ثم يعدِّ العلاج الناجع بما يلائم طبيعتهم، ويحقق هدف الدعوة فيهم، فربما يفلح في أسلوب مع فئة، ولا يجدي ذات الأسلوب مع فئة أخرى، فلكل قوم خاصيته وطبيعة ومزاعم يختلف عن غيرهم، وهكذا يؤكد أهمية تعرُّف الداعية على طبائع المدعوين.

- ذكر المفسرون أن إلياس أعطى معجزات جمةً، منها: تسخير الجبال، وإعطاؤه قوة سبعين نبيا، وكان على صفة موسى عليهما السلام في الغضب والقوة «الصاوي» (٢/ ٢٤٥).

قصة لوط: ١٣٣ - ١٣٨:

اختلف في صلة قرابة لوط بإبراهيم عليهما السلام فذهب بعضهم إلى أنه ابن أخيه، وهو الأرجح، وذهب آخرون إلى أنه ابن أخته، وكان قد هاجر معه إلى العراق، ومن المسلَّم به أن قوم لوط كانوا أقرب زمنًا لقوم إبراهيم، إذ كان لوط معاصرًا لإبراهيم لذا يغلب ورود قصة لوط عقب قصة إبراهيم في القرآن واختص لوط بإرساله إلى القرى التي كان يسكن إحداها في أرض سدوم، ولم يكن له قلوبهم، ولا تستمع لحديث الديار الخالية، ولا تخاف عاقبة كعاقبتها

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحزينة «الظلال» (٥/ ٢٩٩٨).

- هلاك قوم لوط ودمارهم لأنهم كذبوه ولم يؤمنوا به، ونجاته وأهله منهم دليل باهر على نبوته، وأن من المرسلين الذين دعوا إلى التوحيد، والذين بُعث النبي محمد ﷺ مصدقًا لهم في دعوته، كما أنه بيان يؤكد أن النصر والغلبة للرسل وأتباعهم المؤمنين وإن كانوا قلة، والدمار والهلاك والخسران للمكذبين الكافرين مهما كانوا عليه من الكثرة والقوة، وتلك سنة الله تعالى في خلقه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

- عاقبة قوم لوط تحذير لقريش، ولأهل مكة، ودعوة لهم أن يصدقوا رسولهم، فهم أجدر من قوم لوط في الأخذ، لأنه منهم، ويعرفون شرف أصله، وكريم قوله وفعله، ما لا يعرفه أولئك من رسولهم. «نظم الدرر للبقاعي» (١٦/ ٢٩٠).

- شأن قصة لوط شأن بقية القصص، فيها شبه بحال الرسول محمد ﷺ مع قومه، وبحاله الأكمل في دعوته، ففي القصص كلها عبرة وأسوة وتحذير، ويجمعها كلها مقاومة الشرك، ومقاومة أهله. «التحرير والتنوير، ابن عاشور» (٢٣/ ١٢٩).

قصة يونس: ١٣٩ - ١٤٨:

يونس بن متى نبي من بني إسرائيل ينسب إلى أمه، ذكره القرآن باسمه، كما وصفه بذي النون، وصاحب الحوت، واختلف في رسالته، هل كانت قبل التقام الحوت إياه، أو بعده؟ والراجح أنه أرسل قبل ذلك إلى قومه في نينوى، وبقى مستمرًا على الرسالة، وتختلف الروايات في قصة أبقة، وتذهب مذاهب شتى، والحق أن القرآن لم يبين مم أبق، ولو كان فيه فائدة لذكرها، إلا أن مقام الأنبياء في العصمة والتبليغ يستلزم تخير الاستنتاج الأقرب لمنزلتهم والأليق برتبتهم، وهو ما رجحه الرازي وغيره من المفسرين من أن يونس عليه السلام كان قد وعد قومه بالعذاب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حين لم يؤمنوا، فلما تأخر عنهم العذاب، خرج كالمستور عنهم، فَعُدَّ آبقًا، فكان من فعله خلاف الأولى، على مبدأ: حسنات الأبرار سيئات المقربين، لكنهم لما رأوا مخايل العذاب تابوا، فتاب الله عليهم، وصرف عنهم العذاب، فلحقت بيونس غضبة من قومه، وخافهم أن يقتلوه إذ لم تقم له بيِّنة، فهرب إلى السفينة، وعبر عن ذهابه بالإباق، من حيث هو عبد الله، فَرَّ من غير إذن مولاه.

وسمِّي إباقا مجازًا. «مفاتيح الغيب، الرازي» (٧/ ١٥٨) «الكشاف» (٤/ ٦٣) «الشوكاني» (٤/ ٤١١).

ثم إن السفينة لم تجر، فقالوا: إن فينا صاحب ذنب فاقترعوا، فوقعت عليه ثلاثًا، فمروه في البحر فالتقمه الحوت، وأوحى الله إليه أن خذه ولا تخدش لحمًا، ولا تكسر عظمًا. ثم إن الله تعالى استنقذه من بطن الحوت بعد مدة اختلف فيها، ولا مرجح لرواية سوى أن أمر المكوث في ذاته معجزة لهذا النبي طالت مدته أم قصرت، حين كتب له السلامة والنجاة والحفظ في هذا الالتقام، لكن مما يؤكد طول المدة أنه خرج سقيمًا، وجعل علة استنقاذه تسبيحه، وعليه فإن ركوبه السفينة كان باجتهاد منه، وليس بمعصية لربه، لظنه إن بقى معهم قتلوه، كما أن مؤاخذته بحبسه في بطن الحوت على مخالفة الأولى، فإن الأولى له انتظار الإذن من الله تعالى.

ويرغب الألوسي عن معنى النبذ الذي فسره الراغب في مفرداته بمعنى: الإلقاء والطرح لقلة الاعتداد به، مُعلِّلاً أن الله سبحانه رحيم بأنبيائه، وله سبحانه في كل شيء اعتداد بهم عظيم فيبقى المعنى على عمومه من الطرح والرمي أمَامًا أو وراءً «روح المعاني» (٢٣/ ١٤٥).

واختلفوا في التسبيح إلى معانٍ، سبحان الله، أو صلاة التطوع، أو الصلاة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقت الرخاء، واختلفوا في التسبيح إلى معانٍ، سبحان الله، أو صلاة التطوع، أو الصلاة وقت الرخاء، لكن يجمعها معًا الدعاء الذي صرحت الآية به، وهو الذي أخبر به النبي ﷺ بقوله: «دعوة ذى النون إذ دعا في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧] فإنه لم يدع رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له» الترمذي.

وقد أوحى الله تعالى إلى الحوت أن يلقيه في البر، ولولا ذلك لصار بطن الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة، فألقاه في مكان خالٍ ليس فيه شجر ولا نبت ولا بناء، وكان عليل الجسم ضعيف البدن، كهيئة الصبي حين يولد، أو الفرخ الذي ليس له ريش، يؤذيه أي شيء يمرُّ عليه، لكن عناية الله أنقذته، بشجرة اليقطين (القرع أو الدبَّاء) فهو أسرع الأشجار امتدادًا ونباتًا وارتفاعًا تمثل فيه خصال مُميزة، من برد الظل، ونعومة الملمس، وعظم الورق، وأن الذباب لا يقربه، كما أنه يتميز بجودة تغذية ثمره، فيؤكل نيئًا ومطبوخًا، بلبه وقشره، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه ويتتبعه من حواشي الصحفة.(البخاري) وحين سئل: إنك تحب القرع؟ قال: «أجل، هي شجرة أخي يونس»، كما كان في ظل ساقه مشكلة له على خلاف العادة في القرع، كما كانت تأتيه ناقة صباح مساء يشرب من لبنها حتى قوى. «البحر المحيط، أبو حيان» (٩/ ١٢٤)، «وتفسير النسفي» (٤/ ٢٩) «وحاشية الصاوي على الجلالين» (٣/ ٣٤٧).

ثم لما استكمل عافيته، رده الله تعالى إلى قومه الذين تركهم مغاضبًا، وكانوا قد خافوا ما أنذرهم به من العذاب، فآمنوا واستغفروا، وطلبوا العفو من الله تعالى، فسمع لهم، ولم ينزل بهم العذاب، وكانوا مائة ألف أو يزيدون، وظاهر التخيير يفيد الشك، وهو محال على الله، وأمثلته كثيرة في القرآن الكريم، وأقرب الوجوه: أو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يزيدون في تقديركم أي: في مرأى الناظر، بمعنى: إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة، كما يكون: (أو) بمعنى: (بل). وعن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ قال: عشرون ألفًا. قال أبو حيان: وإذا صح بطل ما سواه، والحديث رواه الترمذي.

يراجع: «مفاتيح الغيب للرازي» (٧/ ١٦٠) «وفي الظلال» (٥/ ٢٩٩٩)، «والبحر المحيط أبو حيان» (٩/ ١٢٥).

وقد دعاهم إلى ربه ثانية بعد ما شاهدوا إمارات نبوته، وعلامات العذاب، فكشف الله تعالى عنهم العذاب الذي أظلَّهم، ومتعهم بالحياة إلى حين انقضاء آجالهم. ولأنه حدث لم يعهد لم يعهد مثله من الرسل، ولأجله يقول النبي ﷺ: «ما ينبغي لأحد أن يكون خيرً من ابن متى» البخاري. وهنا يحتمل أن يكون المراد العبد القائل أو أنه يريد رسول الله ﷺ نفسه، وفي رواية أخرى: «ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» كما قال ﷺ أيضًا: «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب» «تفسير ابن كثير» (٢٢/ ٤) «التحرير والتنوير ابن عاشور» (٢٣/ ١٧٨).

والمعنى: نفي الأخيرية في وصف النبوة. أي: لا يظنن أحدٌ أن فعلة يونس تسلب عنه النبوة. المصدر السابق.

- يستفاد من الآيات:

- في الآيات حث على إكثار المؤمن من ذكر الله تعالى بما هو أهله وإقباله على عبادته، وجمع همه لتقيد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد، وفيها يعظم لشأن الالتجاء إليه في إشارة إلى حديث:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» (الموسوعة الحديثية لمسند أحمد) فمن أقبل على الله في السراء أخذ بيده في الضراء.

- في مقارنة قوم يونس بقوم فرعون، نجد أن قوم يونس آمنوا لما عاينوا العذاب، لذا نفعهم إيمانهم، أما فرعون فلم يؤمن إلا بعد حصول العذاب بالفعل، فلم ينفعه إيمانه، كذلك قوم يونس أخلصوا في الإيمان، وفرعون لم يخلص، إنما كان عند الغرغرة لدفع الشدة، ولو ردّوا لعادوا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠- ٩١] «حاشية الصاوي على الجلالين» (٣/ ٢٤٧).

- القرعة طريق من طرق القضاء عند التباس الحق، أو استواء عدد في استحقاق شيء، وهي إقناع لفصل التنازع، ويصار إليها عند التساوي في الحق، وفقدان المرجح، وإنما جعلت لتطييب أنفس المتخاصمين، ورفعًا للإشكال. «ابن عاشور» (٢٣/ ١٧٥).

- في قصة يونس درس ربانيٌّ في التربية محفوف بالمعجزة.

- سبب نجاة يونس أنه كان من المسبحين الذاكرين، كما أنه أعلن توبته في بطن الحوت ؟؟؟ تائبًا جاءته الإجابة بقبول التوبة والنجاة، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧- ٨٨] وهذا يؤكد أن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، قال الحسن البصري: ما كان له صلاة في بطن الحوت، ولكن قدَّم عملاً صالحًا في حال الرخاء، فذكره الله تعالى به في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه، وإذا عثر وجد متكأً. وإليه يشير الحديث الذي رواه الضياء عن الزبير بن العوَّام موقوفًا: «من استطاع منكم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن يكون له خبءٌ من عمل صالح فليفعل» (صحيح أخرجه السيوطي في الجامع الصغير. والخبء: الشيء المخبوء أو المدخر).

فيجتهد العبد ويحرص على خصلة من صالح عمله، يخلص فيها بينه وبين ربه، ويؤخرها ليوم فاقته، وفقره، ويسترها عن خلقه، ليصل إليه نفعها أحوج ما كان إليه «التفسير المنير الزحيلي» (٣٣/ ١٤٣).

مناقشة عقائد المشركين: ١٤٩ - ١٧٠:

سبب النزول

١- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ أخرج جوبير عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآيات في ثلاثة أحياء من قريش: سليم، وخزاعة، وجهينة: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾.

- ونقل الواحدي عن المفسرين أنهم قالوا: إن قريشًا وأجناس العرب: جهينة، وبني سلمة، وخزاعة، وبني مليح قالوا: الملائكة بنات الله.

- وعن مجاهد قال: قال كبار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر: فمن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سراة الجن. فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

«ابن كثير» (٤/ ٢٤) «ابن عطية» (١٢/ ٤٠٦) «ابن الجوزي» (٦/ ٣٢٥) «البغوي» (٤/ ٤٩).

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾.

- أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي مالك قال: كان الناس يصلُّون متبددين فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ فأمرهم النبي ﷺ أن يصفُّوا «الزحيلي» (٢٣/ ١٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما تتناوله الآيات:

تناولت الآيات الكريمة أسطورتين وادعاءين للمشركين على غاية من الخطورة والقبح تتعارضان مع تزيد ذات الله تعالى وتعظيمه وتمجيده:

أما الأسطورة الأولى: فهي ادعاء أن الله تعالى النبات، ولهم البنون، ويتكرر طلب الاستفتاء هنا على جهة التوبيخ والتقريع، والإنكار والتأنيب لهؤلاء المشركين على بهتانهم هذا، وافترائهم على الله تعالى، وقسمتهم الجائرة، وتسفيه عقولهم في جعلهم لأنفسهم البنين، وهو النوع الجيد في نظرهم الذي يستحبونه، وجعلهم لله تعالى البنات التي يكرهونها، ويستنكرون ذكرها، ويئدونها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨- ٥٩]. ويحاورهم في صحة هذا الادعاء، وأنى لهم أن يحكموا على الملائكة بالأنوثة، وهو مما لا يثبت إلا بالدليل الفعلي القائم على الحس والمشاهدة، أو النقل المستند إلى النص الثابت القاطع، وكلاهما مستحيل الثبوت، فلما افتقروا إلى إثبات ادعائهم بالنطق والبرهان قامت عليهم الحجة، وثبت في ادعائهم هذا وقوعهم في الكفر من زوايا ثلاث:

الأولى: حين أثبتوا التجسيم لله تعالى، فالولادة مختصة بالأجسام وهي من أحوالها.

والثانية: حين آثروا أنفسهم بالأفضل، وجعلوا لله تعالى الأقل، فقد اختاروا أرفع الجنسين لهم، ونسبوا دونه لله تعالى.

والثالثة: حين وصفوا الملائكة المقربين بالأنوثة، وقد كانوا يتعيرون بأبي الإناث، فاستهانوا بمن هو مكرَّم عند الله تعالى حين أنثوهم.

لذلك كرر الله تعالى هذا النوع من كفرهم في كتابه غير مرة فقال سبحانه:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ [النجم: ٢٧] وقال تعالى أيضًا: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء: ٤٠] وقال أيضًا: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢١- ٢٢]. ويتكرر الإنكار على حكمهم الجائر هنا حين يسألهم المبرر لاختصاص الله تعالى.

قال الزجاج: أهل التفسير مجموعون على أن المعنى: وأنتم بمفضلين أحدًا إلا من قدر الله عز وجل عليه أن يضل. «البحر المحيط، أبو حيان» (٩/ ١٢٦) «وفتح القدير الشوكاني»: (٤/ ٤١٤).

ثم يأتي ردُّ الملائكة على هذه الأسطورة: بإقرارهم أن لكل منا مقامه لا يتعداه، وهو ما يُشار إليه من بيان درجتهم في الطاعة، ورتبتهم في العبودية لله تعالى. حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم على أو إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» قال: فقال أبو ذر: «والله لوددت أني شجرة تعضد» حسن لغيره. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد، كما أنهم عباد لهم وظائف، فهم يصفُّون للصلاة، ويعظِّمون ربهم ويسبحونه، وينزهونه عن اتخاذ الولد، أو أن يكون له صهر، أو زوجة.

يزيد هذا المعنى ما روى في حديث الإسراء من استقبال الملائكة للنبي ﷺ وجبريل في استئذان دخول السموات، وفي تأخير جبريل عند سدرة المنتهى، حيث لا يستطيع التقدم عن مكانه حيث لكلٍ مقام معلوم. «التحرير والتنوير» (٢٣/ ١٩١) «القرطبي» (١٥/ ١٣٨).

ويحتمل أن يكون هذا قول المسلمين الذين يصفُّون للعبادة، واقفين إليه صفوفًا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالصلاة، وإنما وصف وقوفهم بالصلاة تشبيهًا بنظام الملائكة، يؤيد ذلك حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «فضِّلنا على الناس بثلاث: جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا، وجعلت لنا تربتها طهورًا إذا لم نجد الماء» صحيح مسلم.

قال الزهراوي: إن المسلمين إنما اصطفُّوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية ولا يصطف أحد من أهل الملل غير المسلمين. «الوجيز» (١٢/ ٤٠٩) ابن جزى (٢/ ٣٨٦).

ثم تختم الآيات بمقالة بعض المشركين قبل البعثة النبوية حينما يعيرون بجهلهم فكانوا يتمنون وجود كتاب مقروء بينهم يذكر الناس بما يجب عليهم كالتوراة والإنجيل كي يخلصوا فيه العبادة ويؤمنوا، لكنهم لم يوفُّوا بتمنيهم إذ تحقق، فقد كفروا بنبيهم المرسل، وكتابه المنزل، وسوف يرون عاقبة كفرهم حين تمنوا أمرًا، فلما جاءهم كفروا بربهم، وكذبوا رسوله، واستهواهم الحسد، وهذا وعيد أكيد، وتهديد شديد.

يُستفاد من الآيات:

- الحق والباطل ضدان أزليان، وصراعهما باق أبد الدهر، والباطل مهما طال فهو لا ريب زاهق، إلا أن إبطاله لا يكون إلا بالدليل القاطع، والآية البينة.

- تنزيه الله عن كل ما لا يليق بذاته العلية من صفات النقص والعجز.

- تقرير لعقيدة القضاء والقدر.

- الإسلام دين الضبط والنظام، والاستقامة والالتزام قال ﷺ: «سوُّوا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة» صحيح البخاري.

- للملائكة صفات رئيسة: لكل واحد منهم رتبة ودرجة لا يتجاوز حده فيها. كما أنهم يُصفون للعبادة والطاعة والخدمة وأداء ما كلفوا به.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأنهم في تسبيح وتعظيم وتمجيد وتنزيه لله تعالى عما لا يليق به من صفات النقص.

- الإنسان بصبره وجهاده يستطيع أن يحقق درجات مميزة في العبودية مع ما ركب في طبعه من نوازع الخير والشر.

- لا يهمش الإنسان عقله بقبول نظريات خرافية أو أفكار ضارة منحرفة ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [القلم: ٣٦]- ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾- ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [الصافات: ١٥٦]- ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الصافات: ١٥٧].

نصر جند الله تعالى: ١٧١ - ١٨٢:

سبب النزول

أخرج جوبير عن ابن عباس قال: قالوا: يا محمد، أرنا العذاب الذي تخوفنا به، عجله لنا، فنزلت: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ وهو صحيح على شرط الشيخين «التفسير المنير للزحيلي»: (٢٣/ ١٥٦).

في الآيات السابقة تهديد خفي ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ هو اللائق بالكفر بعد التمني والوعود، وبعد هذا التهديد يقرر الله وعده لرسله بالنصر والغلبة، والوعد واقع، والكلمة نافذة. فقد ذهبت عقائد المشركين وسطوتهم ودولتهم، وبقيت عقائد الرسل تسيطر على قلوب الناس، وهي مرهونة بتقدير الله يحققها متى يشاء «في الظلال» (٥/ ٣٠٠١).

ولما هدَّد الله سبحانه المشركين بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾، أردفه بما يقوي قلب رسول الله ﷺ بوعده بالنصر والتمكين، فجاءت الآيات تحمل المؤانسة، والبشرى لنبيه ﷺ وأوليائه بأن وعدنا وقضاءنا وحكمنا في الأزل قد سبق ومضى في أم الكتاب بنصر رسلنا على من ناوأهم، وجحد رسالتهم، وظفر بإرادتهم، والمراد بالنصر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والغلبة علوُّهم على عدِّوهم، سواء كان ذلك في الدنيا بالغلبة وظهور الحجة والبرهان في مقام الحجاج، والقهر وهزيمة الأعداء بالرمح والسنان في ملاحم القتال، أو في الآخرة بالسعادة والعلو والفوز والنجاح، وجند الله في السماء وهم الملائكة، وفي الأرض الغزاة، ومضمون الكلمة تحقيق موعود الله، وسميت كلمة وهي كلمات لأنها انتظمت في معنى واحد، كانت في حكم كلمة مفردة، وشبهها بالكلمة في سرعة الدلالة وإيجاز اللفظ «النسفي» (٤/ ١٢١) «ابن عاشور» (٢٣/ ١٩٥).

وفي نعت الرسل بالنصرة والغلبة جرى للكلام مجرى الغالب في أكثر الأحوال، وباعتبار العاقبة المحمودة لهم على كل حال، ولا يُنافي ذلك أنهم يُغلبون نادرًا، ابتلاء ومحنة، أو بسبب تقصير منهم.. ويكفي في نصرتهم إعلاء كلمتهم، وحفظهم من القتل في الحروب، ومن الفرار منها، ولا ريب أن نصر أهل الحق يقابله هزيمة أهل الكفر والعصيان والضلال، وقد تكون الغلبة بقوة الحجة والدولة والاستيلاء بالدوام والثبات. فالمؤمن وإن صار مغلوبًا أحيانًا بسبب الدنيا فهو الغالب «الألوسي»: (٢٣/ ١٥٦) «ومفاتيح الغيب، الرازي» (٧/ ١٦٤).

وجاء الأمر بالتولِّي عنهم تحقيقًا لنصرته ﷺ وتسلية له وهو هنا مجاز في عدم الاهتمام بما يقولون، وترك النكد عن إعراضهم.

واختلف في تبيين لفظ: (حين) إلى أقوال: حتى تنقضي مدة إمهالهم، أو حتى مجيء عذابنا، وعذابنا ونزوله بهم، أو حتى نأمركم قتالهم، على الاعتبار الآية هنا محكمة، أو حتى موتهم، أو حتى يوم القيامة، أو أمر بالموادعة، أو المهادنة إلى حد معلوم، وهو يوم بدر، أفتتح مكة على اعتبار الآية منسوخة بآية السيف والقتال «الطبري» (٢٣/ ١١٥) «الرازي» (٧/ ١٦٤) «الخازن» (٤/ ٢٩)، «ابن الجوزي» (٦/ ٣٢٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ تأمل أحوالهم، فهو وعد للنبي ﷺ كناية عن تحقيق وقرب وقوعه، ووعيد للكافرين بما سيحل بهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ استفهام إنكاري للتهديد، وقد مثَّل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه، بجيش أنذر بهجومه قومه بعد نُصحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم، ولا دبروا أمرهم تدبيرًا ينجيهم، حتى أناخ بفنائهم بغتة، فشن عليهم الغارة، وقطع دابرهم، وكانت عادة مغازيهم أن يغيروا صباحًا، فسميت الغارة صباحًا، وإن وقعت في وقت آخر، وقت جاءت الآية على طريقة التمثيل. ومنه الحديث: «محمد الخميس الغماري».

والساحة: الفناء، والعرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم، كما تعبر بالنزول بالساحة فما يرد على الإنسان من خير أو شر، وسوء الصباح يستعمل في ورود الغارات والرزايا «الكشاف» (٤٠/ ٧٠) «والقرطبي» (١٥/ ١٤٠) «والبحر المحيط أبو حيان» (٩/ ١٣١).

ومقصد تكرار الأمر بالتولِّي والإبصار المبالغة في التأكيد والتهديد والتهويل، ووقوع المعاد بعذاب يحل عليهم بعد أن أنذروا فلم ينفعهم الإنذار «أبو حيان» (٩/ ١٣١) «الخازن» (٤/ ٢٩).

ولما اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله تعالى، ونسبوا إليه مما هو منزه عنه، وما عاناه المرسلون من جهتهم، وما حولوه في العاقبة من النصرة عليهم، جاءت الخاتمة بجوامع ذلك من تنزيه ذاته تعالى عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين، والحمد لله رب العالمين على ما سبق ذكره من نعمه على المسلمين، من هدى ونصر، وفوز بالنعيم المقيم. «الكشاف للزمخشري» (٤/ ٧١) «والنسفي» (٤/ ٣٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومعنى ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ تنزيهه عن كل سوء، والعزة تكون صفة ذات نحو قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] وتكون صفةً فعل نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ ربُّ الغلبة والقدرة التي يتعازُّ الخلق فيما بينهم، فهي من خلق الله عز وجل، وفيه إشارة إلى كمال القدرة، وأنه القادر على جميع الحوادث، وفسرها بعضهم هنا بالملائكة. «القرطبي» (١٥/ ١٤١) «الخازن» (٤/ ٢٩).

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ إما تحيتهم، أو سلامتهم من أعدائهم فيكون تكميلاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾. «التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي» (٣/ ٣٨٨).

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ ربُّ الثقلين الإنس والجن خالصًا دون سواه، لأن كل نعمة لعباده فمنه، فالحمد له سبحانه، خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمه «جامع البيان للطبري» (٣٣/ ١١٦).

- عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته، أو حين ينصرف منها ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾» «الجامع لأحكام القرآن، القرطبي» (١٥/ ١٤١).

- وعن عليّ: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ «النسفي» (٤/ ٣٢)، «ومعالم التنزيل للبغوي»: (٤/ ٥٢).

- يستفاد من الآيات:

- وعد الله لرسله وأوليائه المؤمنين بالنصر لا يُخلف، فقد تكفل سبحانه به وأخذه عهدًا على نفسه، وللنصر شروط ومقدمات، وأسباب وعلامات، فلا ينال

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالتمني، وإنما بالإيمان الصحيح، والعمل بالتنزيل، والتزام دين الإسلام في الحياة سلوكًا ونظامًا، ودستورًا ومنهاجًا، عندها يتحقق النصر الذي وعد الله تعالى به عباده المؤمنين ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

- للنصر أحوال : فقد يكون بالتأييد بالدليل والبرهان في ميادين الجدال، وقد يكون بالغلبة على الأعداء في قهرهم وهزيمتهم، أو بالدولة والاستيلاء، أو بالدوام والثبات، هذا في الدنيا، وقد يكون في الآخرة بتحقيق السعادة والفلاح، والفوز برضوان الله تعالى في الجنان.

- الغرض من ذكر التسبيح والسلام والثناء في ختام السورة تعليم للمؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يُخلُّوا به، ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم، ومودعات قرآنه المجيد.

- فصل الفقهاء الحكم فيمن حلف بعزة الله تعالى، فإذا أراد صفته الذاتية فحنث فعليه الكفارة، لأنها يمين، وإذا أراد العزة التي خلقها الله تعالى وجعلها بين عباده فلا كفارة عليه إن حنث لأنها ليست بيمين. «القرطبي»: (١٥/ ١٤١).

- يستحب ذكر كفارة المجلس عند انتهائه بالتسبيح والدعاء المشهور «كان رسول الله ﷺ يقول بآخره: إذا أراد أن يقوم من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقال رجل: يا رسول الله: إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى، فقال: كفارة لما يكون في المجلس» أبو داود.

مجمل موضوعات السورة:

- تقرير النبوة المحمدية.

١- التوحيد ودليله في الآفاق والأنفس.

٢- خلق السموات والأرض ووصفه سبحانه لذلك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- إنكار المشركين للبعث وما يتبع ذلك من محاورة أهل الجنة لأهل النار وهم يطلعون عليهم.

٤- وصف الجنة ونعيمها.

٥- قصص بعض الأنبياء كنوح وإبراهيم وإسماعيل.

٦- دفع فرية قالها المشركون وتوبيخهم عليها إذ قالوا: الملائكة بنات الله.

٧- تنزيه الله سبحانه عن ذلك.

٨- بيان أن المشركين لا يفتنون إلا ذوي العقول الضعيفة المستعدة للإضلال.

٩- وصف الملائكة بأنهم صافون مسبحون.

١٠- مدح المرسلين وسلام عليهم.

١١- حمد الله وثناؤه على نفسه بأنه ربُّ العزة وربُّ الخلق أجمعين، وفي هذا تعليم لنا كي نختم مجالسنا وأعمالنا بـ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب